الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي على كافي تندوف

معهد اللغة والأدب العربي

قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص:

أدب جزائري

رقم :.....

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهـادة ماستر أكاديمي

بعنوان

إشكالية الهوية والانتماء في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية "رواية زهرة زوجة عامل المنجم" لعبد القادر حاج حمو (أنموذجا)

إعداد الطالبة: سليماني سهام

إشراف: د. منوني نورالدين

لجنة المناقشة:

أ.د. مغربي محمد رضا	المركز الجامعي تندوف	رئيسا
د.منوني نورالدين	المركز الجامعي تندوف	مشرفا
أ.د. شيبان رشيد	المركز الجامعي تندوف	مناقشا

السنة الجامعية : 2023/2022

إهداء

إلى من حملتني وهناً على وهنٍ، وتعبت لراحتي ، ولم تدخر نفسا في تربيتي "أمي" طيب الله ثراها وأسكنها فسيح جنانه.

إلى الذي تحمل مشقة تعليمي وكان لي دائما السند في رعايتي "أبي" الصبور شفاه الله وعافاه وأطال في عمره.

إلى ابنتي مهجتي وقرة عيني "ناريمان "حفظها الله برعايته .

إلى من يذكرهم القلب قبل القلم، إخوتي وأخواتي وأولادهم كل باسمه.

وأخيرا إلى عائلة سليماني كل باسمه .

كلمة شكر

ليس في الحياة ما هو أجمل من لحظة قطف ثمار جهد وعناء، وإذا بي أجني ثمرة جهدي هذا، أتوجه بجزيل الشكر والثناء لمن له الحمد في الأول والأخر القائل في محكم تنزيله

"لئن شكرتم لأزيدنكم".

ثم أتوجه بشكر خاص إلى الأستاذ الدكتور "منوني نور الدين"، على أن شرفني بقبول الإشراف على مذكرتي ، وعلى ما تحلى به من صبر وعناء في توجيهي وإرشادي. ولا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأساتذة الكرام الذين كان لهم الفضل في تدريسنا طيلة السنة الدراسية.

كما أتقدم بجميل العرفان إلى من ساعدتني وكانت رفيقة دربي في مذكرتي ابنة خالي

"دليلة" راجية من المولى أن يوفقها لما يحبه ويرضاه. ولا يسعني في الأخير إلا أن أشكر أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي كافي تندوف، على وقفتهم معنا طيلة المشوار الدراسي فلهم منا جزيل الاحترام والتقدير.

مقدمة

مقدمة

يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ثورة كبيرة في الأدب العربي المعاصر، فقد أثار جدلاً واسعاً حول هويته وانتمائه، إذ يلاحظ عليه صبغة من التناقض الذي أفرزته طبعة الحقبة الاستعمارية. ففي فترة من الفترات شكل الأدب الجزائري ظاهرة ثقافية مناهضة لسلطة المستعمر، وهذا ما أثار حفيظتي وجعلني أهتم بهذا الموضوع، فارتأيت أن أعنون بحثي:

"إشكالية الهوية والانتماء في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية"،

واتخذت من رواية "**زهرة زوجة عامل المنجم" التي ألّفها**" القادر حاج حمو"أنموذجاً.

وتكمن أهمّية هذا الموضوع في اعتبار هذا الأدب حلقة مهمة من حلقات الأدب الجزائري المعاصر، وإنّي لأسعى إلى محاولة الكشف عن أهم القضايا التي تناولها هذا الأدب عامة، والرواية التي نحن بصدد دراستها خاصّة.

ولدراسة هذا الموضوع اتبعنا الخطوات التالية لتحديد الإشكالية باعتبار أنّ:

- **الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في نظر الكثيرين أدبٌ جزائري بحت خالص؛**
- **أم أنّه أدب فرنسي تابع للغة التي كتب بها.**

وقد نشأت عن هذه الفكرة جملة من التساؤلات مكونة لإشكالية بحثنا وتتجلى في ثلاث مكونات كالاتي:

- كيف نشأ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وما الداعي إلى انفتاحه على اللغة الفرنسية؟
- هل كان للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دور في نقل معاناة الشعب الجزائري إبان ثورة التحرير؟
- أين تتجلى سمات الهوية في رواية زهرة زوجة عامل المنجم؟

أثناء معالجتي للموضوع تبادر إلى ذهني عدة فرضيات تتناسب مع هذه الأسئلة كالتالي:

- طغيان اللغة الفرنسية على الأدباء الجزائريين لأنّ اللغة الفرنسية كانت وسيلة للتواصل مع المستعمر.
- لقد ساهمت الرواية الجزائرية المكتوب بالفرنسية في نقل معاناة المجتمع الجزائر إبان ثورة التحرير.
- تتجلى الهوية في الرواية الجزائرية من خلال التشبث بالقيم الوطنية وانحيازها للقضية الوطنية.

لمعالجة هذه الإشكالية قمت بإعداد خطّة تقوم على ثلاثة فصول:

اخترت للفصل الأول عنواناً وهو"**ماهية الهوية**"، وقسّمته إلى مبحثين، تعرّضت في المبحث الأول إلى مفهوم الهوية .أما عن المبحث الثاني فقد عالجت فيه أبعاد الهوية المختلفة والعناصر التي حدّدها الدارسون واللغويون لما يسمّى الهوية بمقوماته.

بالنسبة للفصل الثاني فقد عنونته "**الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية**"، وقسمته إلى مبحثين، الأول لمعالجة ماهية هذا الأدب ونشأته وتطوره وأهم الأسباب التي أدّت إلى هذا التطور. أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه مضامين الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسة وأهم رواده.

هنالك فصل ثالث خصّصته لدراسة مختلف الجوانب التي تتعلّق **برواية "زهرة زوجة عامل المنجم"**، واستحسنت تقسيمه إلى مبحثين، تطرّقت في المبحث الأول حياة الكاتب "عبد القادر الحاج حمو"، وأعطيت نبذة عنها بشيء من التفصيل، وخصّصت المبحث الثاني من الفصل الثالث لدراسة سيميائية للرواية وإشكالية الهوية في هذه الرواية.

لعل بعض الأسباب الذاتية التي جعلتني أتخيّر هذا الموضوع من بين المواضيع الأدبية الكثيرة، هو الاهتمام الشديد بهذا النوع من الأدب، بعد اصطدامي بمسألة تتعلّق بذات الإنسان ألا وهي **الهوية**، واقتناعي بخصوبة هذا الموضوع وثرائه بالعديد من القضايا، وإحساسي بأهمية هذا الأدب والدور الذي قام به في التعريف بالقضية الوطنية، وهذه كلّها أسباب ذاتية.

أما عن الأسباب الموضوعية، فلأنّ الهوية تعتبر وثيقة الصلة بتاريخ الإنسان، وهي تمثل انتماءه وأصالته، وهذا مصطلح حساس جدير بالدراسة والبحث، أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي قام به الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية والمتمثل في الوقوف إلى جانب قضيتنا الوطنية.

أما عن المناهج التي اعتمدتها في دراستي، فقد لجأت إلى المنهج الوصفي لوصف الظاهرة للتقدّم بها إلى مرحلة التحليل، باستخدام المنهج التحليلي لدراسة جميع عناصرها ومكوناتها التي تقف وراءها، والوقوف على تجلياتها وأهم العوامل المتحكمة في توسعها وانتشارها. كما أنّي استدرت نحو المنهج التاريخي، منهجاً مساعداً بحثاً عن بعض جوانب السير الذاتية للكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية، والعودة إلى تاريخ هذا الأدب من حيث النشأة والتطور، أضف إلى ذلك منهج الاستقراء للإبراز النتائج، ما يسمح لنا إعطاء هذا الأدب حقه الكامل من الأهمّية، أمّا المنهج السيميائي فيتجلّى داخل البحث عند التطرّق إلى مكونات وعناصر الرواية، وتناولها بالدراسة.

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة في موضوع الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسي أثناء الحقبة الاستعمارية علمنا أنّ هناك مجموعة من الأدباء الجزائريين قد اهتمّوا بالموضوع اهتماماً كبيراً نذكر من بينهم، محمد صالح الجابر، الذي ألّف كتاباً في هذا الشأن، عنونه: "**الأدب الجزائري المعاصر**"، وأحمد منور، من خلال كتاب له: "**الأدب الجزائري باللسان الفرنسي**"، وهذا على سبيل المثال لا الحسر.

سليماني سهام

تندوف : 5/ماي/2023

الفصل الأول: ماهية الهوية

❖ **المبحث الأول: مفهوم الهوية**

المطلب الأول: تعريف الهوية لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أنواع الهوية

❖ **المبحث الثاني: أبعاد الهوية ومقوماتها**

المطلب الأول: أبعاد الهوية

المطلب الثاني: مقومات الهوية الجزائرية

تمهيد:

تبرز حاجة المجتمعات بمرور الزمن لتأكيد ذاتها ومراجعة انتمائها، ذلك أن المجموعات البشرية تؤطرهذا الانتماء بمميزات إنسانية مشتركة تسمى بالهوية أو المواطنة، حيث تهدف هذه المفاهيم إلى إبراز الروابط المشتركة سواء أكانت جغرافية أو تاريخية والتي تربط بين فئة معينة.

تعد الهوية مفهوما أساسيا كونها العامل الأول في تكوين شخصية الإنسان، وبالتالي تحدد انتمائه إلى طائفة أو مجتمع معين، ذلك أنّها تحدّد تباعد أو تقارب الإنسان مع محيطه، ووجوده وتفاعلاته وامتداده.

فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي يتأثر بالعوامل الخارجية والمحيطة به طوال حياته، منذ أن وجد وإلى أن يفنى،وهو على ارتباط دائم بتاريخه وثقافته ودينه، فعلاقته بهذه الخصائص تخلق لديه هوية انتماءٍ تتطور من خلالها شخصيته،ويكون قادراً على مواجهة الحياة بحلوها ومرها.

المبحث الأول: مفهوم الهوية

لقد ذهب الكثير من العلماء والمفكرين إلى أنّه من الصعب تحديد مفهوم دقيق للهويه، ذلك أنّها متداخلة مع مفاهيم أخرى كالذات و الأنا، فتعريفها يحتاج إلى المرور على محطات نفسية واجتماعية وفلسفية من أجل التوصل إلى تعريف شامل لها.

المطلب الأول: تعريف الهوية لغة واصطلاحاً

1/ لغة

الهوية مأخوذة من الضمير (هو) أي جوهر الشيء وحقيقته، وقد وردت في لسان العرب لابن المنظور" من الفعل هوى أهويته إذا ألقيته من فوق"[1]ا وجاء في معجم المعاني الجامع: " الهوية بفتح الهاء هي البئر البعيدة القعر، أما الهُوية بضم الهاء هي حقيقة الإنسان وصفاته الجوهرية".[2]

والهوية في قاموس المحيط "من الهُوة كقوة ما انهبط من الأرض، أو الوهدة الغامضة " [3]، أمّا الهوية عند الجرجاني: "هي الحقيقة المطلقة المشتملة على حقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق".[4] وهذا الكلام يعني أن هوية الفرد هي النواة التي تصدر منها أفعاله وترسم كينونته.

والأصل في الهوية يقابلها في اللغات الأجنبية من identitéفي اللغة الفرنسية و identity في اللغة الإنجليزية وأحياناً يستدل بها على مصطلح الآنية المشتق من الأنا ، و هو ما يجعل الشخص أو الكائن نفسه وليس شيئا أخر.

---

[1]محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن المنظور، **لسان العرب** (دار الصادر: بيروت لبنان، ط3؛ 1414ه)، ص105.

[2]ابن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة** (دار الصادر: بيروت، ط1؛ 1992)، ص708.

[3]مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، **القاموس المحيط** تر: محمد نعيم العرق سوسي، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: ب، ب، ن، ط8؛ 2005)، ص1347.

[4]الشريف الجرجاني، **التعريفات** صح: جماعة من العلماء، (دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ط1؛1983)، ص11.

2/ اصطلاحا

تعددت مفاهيم الهوية من مجال إلى آخر، فتعريفها في علم النفس يختلف عن تعريفها في علم الاجتماع فقد عرفها ابن رشد: "إن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم موجود وهي مشتقة من الـ"هو" كما تشتق الإنسانية من الإنسان".[1]

أما أرسطو فيعتقد أن هوية الإنسان هي حقيقته وجوهره، أي أن لكل إنسان خصائص تتجدد لكن لا تتغير، أما الهوية عند علماء الاجتماع "تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم".[2]

أما هويدا عدلي فتقول : " إن الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية على وجه الخصوص ، فإنه يتعامل مع مفهوم قلق من الناحية النظرية ، يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات...حيث أنه من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكة نظرا لما يثيره من إشكاليات عديدة. وأنها جميعا متفقة على أهم شيء في تعريف الهوية، ألا وهو الخصوصية والتميز"[3].

وعرفها محمد عمارة بقوله:" إن الهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات".[4]

لقد ورد مفهوم الهوية عند ماجدة حمود في قولها: إن الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلزمه مكونة شخصيته، ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين ، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد يؤثر في الجماعة، ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل "الأنا "عن "النحن" لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتباهي بها ."[5]

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن الهوية لها علاقة بذاتية الإنسان وطريقة تفكيره، لهذا يمكن تعريفها بأنّها خليط من الخصائص الاجتماعية والثقافية التي يشترك فيها مجموعة من الأفراد، أو هي مجموعة الانتماءات التي ينتمي إليها الفرد، تحدّد سلوكه وكيفية إدراكه لنفسه، وهذا ما ذهبت إليه فايزة الصباغ إذ عرّفتها بأنها: "مجموعة من

---

[1] ابن رشد، **تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس** تح: عثمان أمين (القاهرة: مصر، دط؛1958)، ص11.

[2] أنتوني غدنز، **علم الاجتماع** تر: فايز الصباغ، (المنظمة العالمية للترجمة: بيروت، ط1؛2005)، ص90.

[3] خليل نوري مسيهر العاني، **الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية** (مركز البحوث والدراسات الإسلامية: بغداد العراق ط1؛2009)، ص41.

[4] محمد عمارة، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية** (دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع: ا لقاهرة، ط1؛1999)، ص6.

[5] ماجدة حمود، **إشكالية الأنا والأخر نماذج روائية عربية** (عالم المعرفة، الكويت، د، ط؛2013)، ص15.

الخصائص والملامح التي تتكون منها شخصية شعب من الشعوب، كما أنّ هناك كثيراً من المفاهيم التي تساعد على الإحاطة بموضوع الهوية مثل الذات و الشخصية، والفرد، وروح الجماعة، والضمير الجماعي"[1].

المطلب الثاني: أنواع الهوية

الهوية الفردية: وهي الهوية التي توضح جوهر الإنسان ومن هو، وتشمل عدة مميزات فيه: كالرقم الوطني، بصمات الأصابع، جواز السفر، شهادة ميلاد الأصدقاء والعائلة.

الهوية الاجتماعية : وهي الهوية التي تتشاركها مجموعة من البشر كالعادات والتقاليد والمبادئ.

الهوية المتعددة: يذهب علماء الاجتماع إلى أن الهوية تتأثر بعدة عوامل ترتبط بالقضايا الاجتماعية المحيطة كالطبقة الاجتماعية، الجنس، العرف، العمر، الجنسية وغيرها"[2].

[1] فايزة دباغ وآخرون، **اللغة والهوية في الوطن العربي** (المركز العربي للأبحاث والدراسة: بيروت، لبنان، ط1؛2003)، ص72.

[2] محمد أبو خليف، **الهوية**، أنظر الرابط: http //mawdoo3.com15/2/2023 15:00

1. المبحث الثاني: أبعاد الهوية ومقوماتها

المطلب الأول: أبعاد الهوية

للهوية أبعاد عدة تتشكل من خلالها هوية الفرد بمرور الزمن، مما يتيح له اكتساب اللغة داخل المنظومة الثقافية للمجتمع. ومن هذا المنطلق يرى اريكسون أن الهوية هي مجموع كلي لخبرات الفرد حيث تتكون من عنصرين:

وذهب جابر ناصر الدين إلى أن الهوية شطران: هوية الأنا وهوية الذات، "وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل، والدين، وفلسفة الفرد لحياته. أما هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية، وللهوية بعدين: البعد النفسي والبعد الاجتماعي"[1].

1. **البعد النفسي**: للهوية ارتباط وثيق بالبعد النفسي الذي يصعب فصله عما هو اجتماعي، لأن إن فصل سلوك الفرد عن شخصيته يؤدي هو دلالة على وجود خلل في التوازن النفسي والتكيف الاجتماعي، ومن خلال هذا يمكن تحديد أربع رتب للهوية كالتالي:

أ. **تحقيق الهوية**: من خلالها يسعى الفرد إلى تحديد هدفه من الحياة، والقيم التي يؤمن بها، وإرساء مبادئه العامة.

ب.تشتت الهوية: حيث يعاني فيها الفرد من أزمة هوية، فيجد صعوبة بالغة في تحديد هدفه؛

ج.انغلاق الهوية: تعني أن الشخص لا يتعهدّ بشيء محدد يلتزم به، وهذا ما يخلق لديه عدم إحساسه بهويته.

تعليق الهوية: يميل فيها الفرد إلى البحث عن هويته الشخصية، مع عدم القدرة للوصول إلى حل لأزمته الشخصية".[2]

---

[1] جابر نصر الدين، مشكلات **الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية و الامعيارية نظرة شخصية ونفسية واجتماعية** أنظر الرابط:http/ :iab.univ.biskra.d2/leps/images/slokies.pdf.19/2/3023.21:30

[2] زهيرة مزرار، **أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة** (ملتقى وطني حول القراءة والتراث والهوية في زمن العولمة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة ،27فبراير2017، خميس مليانة، الجزائر)، ص 05.

2. **البعد الاجتماعي:**

يتمثل البعد الاجتماعي في معيارية الثقافة ورمزيتها، ذلك أن النشاط الإنساني يتميز عن غيره من أنواع الترابط بخاصية المعيارية، والمقصود بها" أنّ الشخص لا يولد بثقافة بل يكتسبها عن طريق الاحتكاك والارتباط بالمجتمع، فتنتقل من جيل لأخر".[1]

من هذا المنطلق فالمعايير الاجتماعية هي المسؤولة عن تنظيم العلاقات داخل المجتمع، والتي يمكن أن تتغير من بيئة إلى أخرى، ومن فترة إلى أخرى.

والجدير بالذكر أن الإرث التاريخي يمثل عنصراً مهما وجوهرياً، لأنه يحدد لنا من نحن وفي ذلك تقول هويدا العتباني: "فإن الهوية توضح لنا العرق والجنس والطبقة والطائفة والدين والثقافة، وبذلك فإن للهوية وجهين، وجه أول أصلي بدائي، والآخر مصنوع ومختار، وبالتالي يستطيع الشخص امتلاك تشكيلة واسعة من الهويات الممكنة".[2]

المطلب الثاني: مقومات الهوية الجزائرية:

تعد الهوية الجزائرية ضاربة في عمق التاريخ منذ القدم، بسبب الامتزاج الذي حصل بين البربر والعرب من جهة، ودخول الدين الإسلامي إلى هذه المنطقة في نصف الثاني من القرن الأول الهجري من جهة أخرى، ممّا أدى إلى نشوء مجتمع متنوع ومتعدّد الثقافات والعادات.

من هذا المنطلق يمكن القول أنّ الهوية الجزائرية تقوم على مجموعة من المقومات أبرزها:

1. **الدين الإسلامي:** "على الرغم من اختلاف الباحثين في كون الدين من مقومات الشخصية القومية للجماعة إلاّ أن بعض الباحثين يرون خلاف ذلك، والسبب يعود إلى كون الجزائريين لا يفصلون بين مفهوم العروبة كقومية، وبين مفهوم الإسلام كدين روحي جاء لهداية الناس أجمعين، فالعروبة عندهم تعني الإسلام، والإسلام يعني العروبة".[3]

---

[1] زهيرة مزرار، مرجع سابق، ص06.

[2] هويدا صلاح الدين العتباني، **الهوية والتعدد الاثني في الصراع بين شمال وجنوب السودان** (شركة مطابع: السودان دط؛2012)، ص11.

[3] رابح تركي عمامرة، **التعليم القومي و لشخصية الجزائرية** (الشركة الوطنية للتوزيع والنشر : الجزائر، د ط؛ 1981)، ص56.

ذلك أنّ الدين الإسلامي في الجزائر أصبح عاملاً من عوامل التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية، ولهذا حاول المستعمر بشتى الطرق القضاء على الدين الإسلامي بحملات التنصير وهدم المساجد ومحاربة الزوايا، وبالتالي طمس هويته والقضاء على وحدته، لأن الثورة كانت تستمد مبادئها من الدين الإسلامي.

"وقد سعى علماء التاريخ الفرنسيون جاهدين إلى تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام، كما حاولوا إسدال الستار على وقائع هذا التاريخ حتى لا يعرفه الجزائريون، لذلك حصروا جل دراستهم التاريخية للجزائر على الآثار التاريخية في العهد الروماني قبل الإسلام، وعهد الاستعمار الفرنسي، مهملين عن قصد تاريخ الجزائر في ظل الإسلام الذي يمتد لأكثر من أربعة عشر قرناً، والذي صاغ ضمير الشخصية الجزائرية".[1]

من هنا يمكننا القول أن الدين الإسلامي رسَّخ مبادئ الهوية عن طريق ترسيخ القيم، والتركيز على الأخلاقيات التي تقوم على التكافل والتعاون الاجتماعي والتي تعمل بدورها على تقوية المجتمع وتوجيهه نحو الصلاح.

2. اللغة العربية:

اللغة هي أهم أداة لنقل ثقافة أمة إلى أبنائها وتوريثها، لذلك حرصت الأمم على أن يتم التعليم بلغتها القومية، ذلك لأن اللغة تمثل الذاكرة الحية للأمة والوعي الذي يحفظ ارثها وثقافتها كما تمثل أداة للتواصل بين الحاضر والماضي والمستقبل.

"ولهذا تعد اللغة العربية مقوماً أساسياً للهوية الجزائرية، وقد لعبت طيلة قرون دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي والقومي للمجتمع الجزائري ويعود ذلك لعاملين":[2]

أ. **العامل الأول**: كونها لغة قومية للجزائريين تربط بعضهم ببعض من ناحية،كما تربطهم بالمجتمع العربي على مستوى الأمة العربية من ناحية أخرى، وتحدد انتمائهم المصيري إلى ثقافة اللغة العربية وحضارتها.

ب. **العامل الثاني**: أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي فبواسطتها يتصل الفرد الجزائري بمنابع الإسلام في القرآن والحديث والفقه وغيرها من التراث الفكري والروحي الإسلامي".[3]

---

[1] رابح تركي عمامرة، **التعليم القومي و لشخصية الجزائرية** ، مرجع سابق، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص55.

[3] المرجع نفسه، ص55.

إنّ اللغة في نظر عبد الحميد بن باديس "هي الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأغر، ومستقبلها السعيد وهي لغة الدين والجنسية والقومية واللغة الوطنية".[1]

كما أنها في نظر الدارسين ليست وسيلة للتوصل فقط ونقل الأفكار وإنما هي ذات ارتباط وثيق بالأفكار التي تنقلها، وذات تأثير فيها وتأثر بها، وكل لغة تحمل أفكار معاني وأحاسيس تدرك بتلك اللغة "،[2] كما أن اللغة ذات ارتباط وثيق بالمجتمع فلها علاقة وطيدة بالدين والسياسة لأنها تحفظ التراث الثقافي جيلا بعد جيل.

تبعاً لذلك فإن اللغة جزء لا يتجزأ من الهوية ولا يوجد قوام للهوية إلا بها، كما أنها تمثل ذاكرة الأمة ووسيلة اتصالهم بعقائدهم وأديانهم وتراثهم.

3.الثقافة العربية:

قبل الحديث عن ماهية الثقافة العربية الإسلامية، بجدر بنا أن نعطي تعريفا للثقافة فهي" جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، أن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته "[3].

انطلاقا من هذا التعريف يمكننا الإقرار بشيئين اثنين رئيسين في الثقافة هما:

1/ " الثقافة شيء مكتسب ولا تمت بصلة إلى المسائل الغريزية أو الجسدية في الإنسان، ومن ثمة فتوحيدها والمحافظة عليها على أنماطها العامة التي لها علاقة بالهوية تظل دائما رهن إرادة الإنسان الواعي بوجوده كفرد في الأمة.

2/ إن الثقافة متبادلة التأثير مع الإنسان ، وتؤثر بصفة خاصة على السلوك الفردي والجماعي"[4].

---

[1] رابح تركي عمامرة، **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر** (موفم للنشر: الجزائر ط2؛ 2003)، ص229.

[2] أحمد بن نعمان، **الهوية الوطنية** (دار الأمة: الجزائر، ط1؛2005)، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص29

[4] المرجع نفسه، ص274.

ومن جملة سمات الثقافة العربية الإسلامية:

ا/ إنها ثقافة عربية تشكل العربية اللغة العربية إطارها:" ذلك أن اللغة العربية ذات تاريخ قديم متصل الحلقات، كما أنها ثقافة سايرت الحضارة ونظمها، وكانت أداة طيّعة في الزيادة من إنتاجها الفكري للعرب..."[1].

ب/ إن التراث الفكري لهذه الثقافة تراب غني خصب، اتسعت آفاقه ليشمل ثقافات أخرى قديمة احتك بها العرب أيام نهضتهم الفكرية.

ج/"إن لهذه الثقافة آدابها وفنونها وآثارها التي انطبعت بطابعها الخاص، وتأثرت بظروفها ومزاجها وترجمت أطوار حياتها وتاريخها"[2]

د/الثقافة العربية ثقافة متحررة: دليل ذلك أنها "كانت وسيلة لتحرير الشعوب من الخرافات والوثنية، والعصبيات والمظالم، فقد سعت إلى إيقاظ الشعوب، وتغذيتها بالمثل الأخلاقية"[3].

ومن هنا يبدو جليا أن الثقافة العربية قديما وحديثا لعبت دورا بالغاً في التماسك الاجتماعي والقومي للمجتمع الجزائري، فهي التي ربطت الجزائريين بماضيهم العربي الإسلامي من ناحية، وهي التي كانت تيارا قويا يدفع بهم إلى الأمام لتطوير حياتهم و الارتقاء بها في جميع المجالات من ناحية أخرى، لذلك عانت الثقافة طوال الفترة الاستعمارية من محاولة القضاء عليها.

4/ الوطن:

يعد حب الوطن من الإيمان، ذلك أن من لا وطن له لا شخصية له ولا هوية، فمن المستحيل تصور شخصية قومية لجماعة من الناس دون أن يكون لهم إقليم يضمهم في كنفهم، فالجزائر جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، كما أن الجزائريين يشتهرون بحب وطنهم والذود عنه، وحماية حدوده ضد الغزاة على مدار التاريخ.

ونظرا لأهمية العامل الوطني في تكوين الشخصية القومية للجزائريين والمحافظة عليها " منعت فرنسا تدريس جغرافية الجزائر لأبناء الجزائريين سواء في مدارس التعليم الفرنسي الحكومي، أو في مدارس التعليم العربي (الحر)

[1] تركي رابح عمامرة، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، مرجع سابق، ص 58 59.
[2] المرجع نفسه ،ص 59.
[3] المرجع نفسه ،59.

وكانت بدلا من ذلك تدرس لهم جغرافية فرنسا بتفصيل وافٍ حتى يعرف الجزائريون كل شيء ولا يعرف شيئاً عن وطنهم الجزائر".[1]

وفي هذا المضمار نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يحلل عاطفة حب الجزائريين لوطنهم بقوله: " إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلاً، ونحب وطننا ونعتبره جزء منها، ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها ولهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائر، وتحبيب بنيه فيه ونخلص لكل من يخلص له..."[2]

تلكم الركائز أو بالأحرى مقومات الهوية الوطنية في نظر تركي رابح، وفي السياق نفسه نجد محمد العربي ولد خليفة يضيف إلى هذه المقومات مقومين اثنين وذلك في قوله " لا يقتصر التجانس على مقوميه الأساسيين: العقيدة والثقافة، بل يمتد إلى الجغرافيا والتاريخ و الاقتصاد"[3]

والجدير بالذكر أن الهوية تقوم على مقومات أخرى كالتاريخ والموقع الجغرافي التراث والعادات والتقاليد .

[1] تركي رابح عمامرة، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، مرجع سابق، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص60.

[3] محمد العربي ولد خليفة، **الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم** (دار الأمة: الجزائر، ط1؛ 1998)، ص229.

الفصل الثاني: الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

❖ المبحث الأول: ماهية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

المطلب الأولّ: النشأة والتطور.

المطلب الثاني: أسباب تأخر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

❖ المبحث الثاني: مضامين الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

المطلب الأول: موضوعاته وأهم رواده.

المطلب الثاني: إشكالية الهوية والانتماء في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

تمهيد

سعى المستعمر الفرنسي للقضاء على الهوية العربية والإسلامية للجزائريين، إذ حاول طيلة مكوثه في البلاد غرس الهوية والقيم الفرنسية، وعلى رأس كل ذلك أضحت اللغة الفرنسية لغة سائدة في المجتمع الجزائري مثلها مثل اللغة العربية، بل تنافسها في جميع مجالات الاستعمال، ولقد نتج عن هذه السياسية الاستعمارية ثلة من الكتاب الجزائريين الذين صوروا هموم وآلام وطنهم، واتخذوا اللسان اللغة الفرنسية وسيلة لذلك لظروف معينة، يأتي على رأسهم مولود فرعون، وكاتب ياسين، ومولود معمري، ومالك حداد، وغيرهم من الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية.

لقد ترتّب عن كلّ ذلك إشكالية جديدة تتعلّق بتصنيف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، وهذا ما سنحاول جاهدين بحثه في هذا الفصل.

المبحث الأول: ماهية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

لقد ترك الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أثراً كبيراً في الساحة الأدبية، بسبب التجاذبات الفكرية، والأيديولوجية، والسياسية، والاجتماعية التي أثارها عبر مساره قبل الثورة وبعدها. ولقد أدّت تلك التجاذبات التي ذكرناها دوراً محورياً في تطوره من مرحلة إلى أخرى، وكان لكلّ مرحلة خصائص ميزتها عن غيرها وكان الأثر في كلّ منها موسوماً بطبيعة المرحلة نفسها.

المطلب الأول: النشأة والتطور

حسب ما ورد عن المؤرخ "جان دي جو" فإنّ أول نصٍّ أدبي كُتب من قِبَل مؤلّف جزائري، وباللغة الفرنسية يعود إلى سنة 1891" في شكل قصّة بعنوان « انتقام الشيخ" تكشف عن تقاليد اجتماعية جزائرية إبان الاحتلال الفرنسي، كان صاحبها محمد بن رحال»،[1] تليها رواية "مسلمون ومسيحيون" ألّفها أحمد بوري ونُشرت عام 1912 في جريدة "الحق"، تبين عن علاقة الفرنسيين بالجزائريين على أنّها في غاية الائتلاف، ثمّ تلتها مجموعة شعرية بعنوان "حكايات وقصائد من الإسلام" لكاتب يدعى سالم العتيبي عام 1917، اتبعها الكاتب نفسه بمجموعة ثانية عام 1920 بعنوان «أندية مشرقية" مجد فيها الإسلام والشرق وفرنسا في آن واحد».[2]

وقد فرّق النقّاد فترات تطور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلى مراحل ثلاث:

1. مرحلة الدعوة إلى الاندماج:

إذا تتبّعنا المؤلّفات الروائية في الفترة ما بين 1920 و1950، فإنّ الروايات تظهر المودة والشفقة الفرنسية على السكّان الأصليين، تُستثنى من ذلك أعمال الحمامي، ومالك بن نبي، فالمنظار الذي كان مستعملاً هو منظار فرنسا والفرنسيين".[3]

يبدو أنّه في تلك الفترة أنّ غالبية الكتاب الروائيين قد أبانوا على ولائهم للمحتل الفرنسي، ولقد تجلّى ذلك واضحاً في رواية لشكري أغا عام 1928 تحت عنوان "المأمون"، يقول فيها البطل «تمتلك فرنسا عليا حقوقاً، وأنا برغبة غامضة أن أقدّم شيئا يفيدها».[4]

لم يتوقّف الأمر عن هذا الجد الذي عرف جرأة كبيرة في تأليه المحتلّ الظالم "بل إنّ هنالك أعمالاً روائية أخرى مثل "العلج أسير البربر"، و"مريم بين النخيل" لمحمد ولد الشيخ، ورواية "بولنوار فتى جزائري" لرابح زناتي، و"ليلى فتاة من الجزائر" لجميلة

---

[1] أحمد منور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**(ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، د ط؛ 2017)، ص 87.

[2] المرجع نفسه، ص88.

[3] يُنظر، أم الخير جبور، **الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية**(دار ميم للنشر: الجزائر، ط1، 2013)، ص38.

[4] مرجع نفسه، ص38.

دباش، حيث اتفقت هذه الروايات على فكرة واحدة هي فكرة الاندماج والتخلّي النهائي عن الهوية الأصلية، والتحول إلى هوية الآخر"[1].

لقد ابتلي هؤلاء بإحساس وهمي يوحي بفضائل فرنسا وأصبحت قناعتهم هي أن الجزائر لن تعرف تطوراً ولن تلحق بالركب الحضاري إلاّ بالاندماج في ثقافة وحضارة، وربّما دين فرنسا عند الكثير منهم، طمعاً في أن ستتساوى الحقوق بين المحتلّين والجزائريين، إذ يقول "محمد ولد الشيخ" في كتابه "مريم بين النخيل": «لقد أصبح واضحاً للعيان أن البلاد استرجعت السلم والعيشة الهنية تحت الحكم الفرنسي، فلا وجود لمواطن عربي لا يشعر تجاه الوطن الأم بالعرفان خاصّة بعد إخراجه من الظلمات إلى النور»،[2] وعلى شاكلة ولد الشيخ توافقاً، هناك كتاب آخرون مثل "عبد القادر الحاج حمو"، و"شكري خوجة"، و"رابح الزناتي" الذي عبّر عن امتنانه لفرنسا قائلاً «إنّ الأفضال كلها، المادية والمعنوية، ترجع لفرنسا».[3] وفي مقال عن القضية الجزائرية بمنظور جزائري مسلم كتب سنة 1938 قائلاً: «من حظ كل الجزائريين أن تكون الجزائر مع الدولة الأكبر والأكثر حضارة في العالم، فمعها تمكّن الجزائري أن يخطو خطوات عملاقة».[4]

يجدر بنا أنّ نذكّر بأنّ هؤلاء الكتاب كانوا من أبناء الأعيان والطبقة الوجيهة، الطبقة العاملة لفرنسا داخل المجتمع الجزائري، استفادوا من الدراسة في المدارس الفرنسية، غُسِلَت أدمغتهم وذابت شخصيتهم فتحولت صورة فرنسا لديهم من محتلّ غاشم صليبي ظالم معتدي، إلى مخرج للأمّة الجزائرية ومنقذة لها من الضلالة والبؤس والشقاوة.

إنّ المخطّط الذي رسمته فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر كان يحمل عدّة طرق، تدور كلّها في فلك إدماج الجزائريين وطمس هويتهم. وكان من بين هذه الطرق:

أ/ **التعليم** : عمدت فرنسا إلى غلق الزوايا والكتاتيب والمدارس الجزائرية، ودفعت بعض الجزائريين لتعليم جيلٍ من أبنائهم في مدارس فرنسية للاستثمار فيهم مستقبلاً في عملية إقناع الشعب الجزائري بضرورة الاستسلام. كان من بين هؤلاء الأبناء "رابح الزناتي" أحد خرّيجي هذه المدارس، انطلق في الدعوة إلى ضرورة الاندماج بين الأوروبيين والجزائريين، بتخلّي الجزائري عن هويته، فكتب روايته "بولنوار الفتى الجزائري" وسيلة لذلك،: ورأى «أنّ التعليم يجب أن يكون مزدوجا بحيث يكون حلقة وصل بين الثقافتين العربية الإسلامية والفرنسية الغربية وبين مجتمعين المسلم والأوروبي».[5]

[1] أحمد منور، ، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه** ،مرجع سابق ،ص98.

[2] أم الخير جبور، مرجع سابق ، ص35 ،36.

[3] المرجع نفسه، ص37.

[4] المرجع نفسه، ص 38.

[5]أحمد منور، مرجع سابق، ص228.

لطالما سعى من خلال هذه الرواية إلى إرضاء فرنسا بتقديم صورة البطلً «الذي تتلمذ في المدارس الفرنسية إلى أن أصبح كاتباً وصحفياً وزعيماً سياسيا»[1]، متجاهلاً في دعوته المدارس القرآنية، بل وإنّه وصفها بالبؤس والظلام، في ظلّ برد وحرارة الطقس، ومعلّميها الذين يتعاملون بعنف مع التلاميذ، عنف لفظي وأخر بدني، بينما وصف المدارس الفرنسية بالرقي والمثالية قائلا: «فقد وجد بلنوار في شخص الأستاذ دوران، الأب الموجه والصديق المؤتمن على الأسرار والمتفهم للمشكلات التي يعرضها عليه تلاميذه»،[2] ويظهر في هذه الأقوال الدليل القاطع على انحياز الكاتب، من خلال طريقة عرضه، للأفكار وسياسية المحتل المسطّرة للإدماج.

ب/ الزواج المختلط:

"لقد استغلّ المستعمر ظاهرة الزواج المختلط، والتي غلبت في الرواية في هذه المرحلة. ولجأ إليها الكتّاب لتلطيف الجو ودفع الأحداث نحو الهدف: ولقد تحدّث "محمد ولد الشيخ" في "رواية مريم بين النخيل" عن زواج مريم ديسي وهي فتاة فرنسية بشاب جزائري يسمى أحمد المسعودي بعد تحديات وتضحيات جسيمة، كإشارة إلى تداخل الأنساب وحتمية الاندماج".[3]

ج/ الدعوة إلى تحرير المرأة:

لقد دعت بعض الروايات إلى تحرير فكرة تحرير المرأة الجزائرية من القيود التي كبّلها بها المجتمع الجزائري المحافظ كما يدّعون، ويظهر ذلك في رواية "جميلة دباش" "ليلى فتاة جزائرية" 1948، وهي تدعو من خلال هذه الرواية إلى تحرير المرأة الجزائرية نظراً، لأنّها (الكاتبة) كانت قد تشبّعت بالثقافة الفرنسية، إيماناً منها وقناعة بفكرة الاندماج، وكانت تنادي على لسان البطلة "ليلى"، إلى «وجوب تحرير المرأة الجزائرية من الجهل والتخلف والتحجر، وإلى ضرورة التمرّد على العادات والتقاليد حتى تتمتع بنوع من الحرية كمثيلاتها الأوروبيات، فقد صورت البطلة على أنها فتاة متعلمة تسلحت بسلاح العلم، واكتسبت ثقافة وخبرة باحتكاكها مع الأوروبيات في العاصمة داخل معهد البنات، كما لم تكن بمعزل عن الحياة العربية في المدينة التي كانت أكثر تحررا من قبضة التقاليد».[4]

لقد كان أثرت الحرب العالمية الثانية على المجتمع الجزائري تأثيراً بليغاً، قلب الموازين، بنشأة جيل جديد من المؤلفين نادوا صراحة بالحقوق المشروعة وحقّ الشعب الجزائري في تقرير المصير خاصة بعد مشاركة الجزائريين مع فرنسا لتحريرها من النازية، حيث أنّ فرنسا أخلفت بوعودها بمنح الشعب الجزائري حقّه في تقرير مصيره، ولقد تبنّى التيار الإصلاحي الذي تزعمته جمعية العلماء المسلمين، التي رفضت دائماً فكرة الاندماج رفضاً قاطعاً، وصرح زعيمها الشيخ عبد الحميد بن باديس الاندماج قائلاً: «إننا فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة كما تكونت ووجدت

---

[1]، أحمد منور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه** مرجع سابق، ص230.

[2]نفس المرجع، ص235.

[3] نفس المرجع، ص 236.

[4]نفس المرجع، ص249.

كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولديها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها».[1]

بعد انتشار هذا الوعي الذي دعا إليه الشيخ ابن باديس، امتدّ إلى عقول كتّاب جزائريين كتبوا بالفرنسية وصوروا معاناة الفلاحين في الأرياف والقرى والمداشر، والحرفين في المدن للحصول على العيش في ظل تضييق الخناق عليهم، "وهذا ما عبر عنه محمد ديب في ثلاثيته " الدار الكبيرة، والحريق، والنول" صور من خلال هذه الثلاثية الأبعاد السياسية والاجتماعية بالجزائر خلال سنوات الحرب العالمية الثانية من 1939 إلى 1949م.

وسار على الدرب نفسه "مولود معمري" وأصدر روايته "الربوة المنسية" سنة 1952م، والتي تعدّ حدثاً أدبياً ظافراً في الساحة الأدبية آنذاك حملتها مضامين جديدة، أبانت عن جرأة لدى الكاتب في طرح مسائل سياسية واجتماعية لم يتعود الروائيون على طرحها".[2]

2. مرحلة وعي الذات واكتمال النضج:

تميّزت الروايات في هذه المرحلة بمحاربة فكرة الاندماج، محاربة الجهل والقضاء على الأمية واليأس الذي سعت فرنسا منذ دخولها إلى غرسه في نفوس الجزائريين، ومن هذه الروايات نجد روايات مولود معمري، التي سعى عبرها إلى القضاء على الخرافات والأفكار المغلوطة بأسلوبه الخاص، ويتضح ذلك جلياً في روايته "الربوة المنسية"، "حملت بين طياتها بذرة الوعي والتغيير والتمرد على الخرافات، فبدأ الوعي ينتشر عبر العقول، وبدا التغيير يظهر على النفوس، وانفلت عن الخطاب الاندماجي الذي ألفه كتاب كثر من قبله. وفي رواية له "نوم عادل" غيّر الكاتب أسلوبه عمّا كان عليه في رواية "الربوة المنسية"، وكان التطور الذي طرأ على مستوى الرؤية الفكرية قد انعكس أيضاً على مستوى بنية الرواية"[3]، حيث بيّن ردود الفعل الكلامية تجاه ما حدث لأبطال الرواية من السلطات الفرنسية، وبيّن من خلالها الاحتكاك مع المستعمر دون تردّد أو خوف، وكانت بكلّ حقّ تلك ذروة الوعي.

3. مرحلة الوعي السياسي والتمرد:

من بين القضايا المعالجة في الروايات، قضايا الجوع والفقر التي كان يعاني منها الشعب الجزائري، وتعد ثلاثية محمد ديب شكلاً آخر من أشكال الوعي، عالج فيها تلك القضايا، "فجعل من بطل الرواية عمر يتحدث بضمير "نحن" حتى يبيّن بأنّ

[1] أم الخير جبور، مرجع سابق، ص 94.

[2] يُنظر أحمد منور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**، ص270.

[3] المرجع نفسه، ص281.

ظاهرة الجوع كانت عامّة، وابتدأ روايته "الحريق" بمشهد يعرض فيه الصراع المرير مع الجوع (هات قليلا مما تأكل) قائلاً عمر، ذلك أن عمر لم يكن وحده فإنّ شبكة من الأيدي قد امتدت تلح كل منها على طلب نصيبها من الصدقة».[1]

لقد أبرزت ثلاثية محمد ديب ملامح المجتمع الجزائري، وانقسمت موضوعاتها إلى قسمين: «الأول المنظور الأيديولوجي، ويتمثل في قضية الوعي السياسي، أما الثاني يتمثل في تصوير الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري»،[2] فبشّرت الدار الكبيرة بنشأة أدب يحمل نوع من الوعي ورفض للواقع الذي يفرضه المحتل، "وقد اتسع الأفق أكثر بعد إصدار رواية "النول" وأصبح البعد الثوري يتضح شيئا فشيئا وهو ما ألمح إليه جون سيناك بقوله: هي من نوع الكتب التي سبقت الثورات".[3]

" من بين الأعمال الأدبية التي تسير في نفس الاتجاه في تلك الفترة، رواية "نوم عادل" لمولود معمري ورواية نجمة لكاتب ياسين "«حيث كشفت الأولى حالة البؤس والشقاء والفقر والتخلف والاستغلال والحرمان التي كانت تعاني منها القرى القبائلية المنعزلة تحت وطأة الجهل والتقاليد المتحكمة في حياة الناس، أما الرواية الثانية فقد تطرق فيها الكاتب إلى حالة الفقر والبطالة التي يعيشها الجزائريون في المدن»[4]، ولم تستثني الرواية الحديث عن مظاهرات 8 ماي 1945، صور الوحشية التي قمع بها المحتلّ تلك المظاهرات، فكانت هذه الأعمال الروائية كلّها تشير إلى ما آلت إليه أوضاع الشعب الجزائري من قهر وفساد.

"مالك حداد واسيا جبار وجهان آخران لتلك الحقبة، حملت أعمالهم الروائية النزعة الثورية ومثال ذلك رواية "الانطباع الأخير لمالك حداد" والصادرة بتاريخ 1958م، وتعد أول الروايات التي تطرّقت إلى وقائع الثورة المسلحة، وقدمت نماذج من مقاومة الفلاحين في الأرياف والحرفيين في المدن، وشبان وفتيات ومثقفون[5].

4. **مرحلة ما بعد الاستقلال:**" بتصويرها لعمليات المقاومة في المدن فإنّ معظم روايات السنوات الستينيات انحازت إلى الاتجاه الثوري، فقد صورت لنا "آسيا جبار" في رواية "أطفال العالم الجدي" والتي صدرت سنة 1962م، ورواية "الأفيون والعصا" لـ"مولود معمري" عمليات قصف القرى بالمدافع والطائرات، كما وصفت الحياة الصعبة داخل المعتقلات والمحتشدات والسجون، وهذا ما نجده كذلك في روايتي "أصابع النهار" لحسين بوزاهر عام 1967م و"أسلاك الحياة الشائكة" 1969م لصالح فلاح".[6]

---

[1] محمد ديب، **الثلاثية (الدار لكبيرة، الحريق، النول)** (تر: سامي الدروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر: بيروت ، لبنان، ط1؛ 1968)، ص15.

[2] يوسف الأطرش، **المنظور الروائي عند محمد ديب(** منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، د ط؛ 2004) ، ص118.

[3] المرجع نفسه ، ص118.

[4] أحمد منور ، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**، مرجع سابق ، ص 107.

[5] يُنظر المرجع نفسه، ص109.

[6] نفس المرجع، ص 111.

"وفي منتصف الستينيات ظهر توجه جديد للرواية غلبت عليه السياسة الانتقادية أو النزعة الاحتجاجية، حيث نجدها في أعمال محمد ديب من خلال رواية رقصة الملك 1968م، ورواية إله أرض البربر1970م، ومعلم الصيد 1973م، بإضافة إلى أعمال رشيد بوجدرة كرواية "ضربة شمس" 1972م، ورواية موت صالح باي 1980م للكاتب نبيل فارس"[1].

أجمعت هذه الأعمال كلها على وصف الأوضاع ونقدها، سواء منها السياسية، أو الاجتماعية في البلاد، بطرائق فنّية وأساليب تعبيرية مختلفة، "وظهرت النزعة في روايات رشيد ميموني والطاهر جاووت، وامتدّت إلى فترة تسعينيات القرن الماضي مع تصاعد المد الإسلامي ودخوله معترك الحياة السياسية، أخذت تظهر روايات تنتقد هذا المد نقدا لاذعا، وتصوره في شكل خطر سياسي واجتماعي يهدد الديمقراطية والحريات العامة، ومن ثمة دعت إلى التصدي له ومحاربته بكافة الوسائل، وتعد روايات رشيد ميموني أبرز هذه النماذج كروايته اللعنة 1993م"[2]، وهذه الحقبة لا تخدم بحثنا الذي يتحدّث عن الكتاب الفراكفونيين، الذي انقلب كثيرٌ منهم إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية والفرانكفونية، ويتجلّى من هنا أنّ هؤلاء لم يكونوا يحاربون الثقافة الفرنسية، بل كانوا يرفضون توجد فرنسا في الجزائر، على الرغم من تشبّعهم بثقافتها وحضارتها، وهذا سبب عداءهم للمدّ الإسلاماوي الذي لقي رفضاً من كثير من الوطنيين المخلصين، وهذا ليس موضوعنا.

المطلب الثاني: أسباب تأخر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

إنّ البدايات الأولى للأدب الجزائري كانت في عشرينات القرن الماضي، وذلك بعد قرن من احتلال فرنسا للجزائر. وقد اختلف الدارسون في الأسباب التي أدت إلى تأخره كل هذه المدّة.

يرى الدكتور عبد الله الركيبي أن «فن الرواية صعب يحتاج إلى الممارسة والصبر وطول التأمل .....بالإضافة إلى انعدام النماذج الروائية الجزائرية العربية التي يمكن تقليدها والنسخ على منوالها»،[3] وقد كان للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية المزرية التي عاشتها لجزائر في ظل الاستعمار دور كبير في تأخر ظهور هذا النوع من الروايات، "إضافة إلى سياسة التجهيل التي مارسها المستعمر طيلة عقود في الفترة الممتدّة بين 1830 و1920، ليظهر ول عمل روائي يدعو للاستغراب لاسيما إذا أخدنا بدعاوي الاستعمار الذي كان يردد دائما أن الرسالة الاستعمار في الجزائر حضارية».[4]

تضاف إلى تلك العوائق عراقيل تتمثل في صعوبة الطباعة والنشر وانعدام القارئ في مجتمع وصلت فيه نسبة الأمية 90 %. ولتلك الأسباب انتظر محمد ديب حوالي ست سنوات ليتمكن من نشر روايته الأولى "الدار لكبيرة سنة 1952م" : «لم يكن ممكنا آنذاك للشباب الجزائري الهواة الأدب، أن ينشروا كتابا فكان ذلك محرما، وهذا لا يرجع لكونه كاتبا ناشئا بل لكونه

[1] أحمد منور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**، ص 124.

[2] المرجع نفسه ص 125.

[3] عبد الله الركيبي، **تطور النثر الجزائري الحديث** (المنظمة العربية للترقية والثقافة والعلوم: ب ب ن ، دط؛ 1967)، ص179.

[4] أحمد منور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**، مرجع سابق، ص89.

جزائري"[1]، كما شكل غياب القارئ عائقا أمام النتاج الأدبي يقول مولود معمري :" من سيقرأ كتب الأدباء العرب التي يتحدثون فيها عن أنفسهم؟ الغرب الآخرون؟ إنهم لا يجيدون القراءة».[2]

وعن الأسباب نفسها فإنّ مالك حداد يرجعها إلى غياب التزاوج الفكري قائلاً: «ولا ننسى أن هناك حرباً وتوتراً دائمين بين السكان الأصليين والمعمرين، مما منع الاحتكاك والمثاقفة بين الطرفين فغاب التأثير والتأثر».[3]

أما عن أحمد منور فإنّه يرجع تأخر الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية إلى سببين:

السبب الأول يتمثّل في سياسة العدوان التي انتهجتها فرنسا طوال احتلالها للجزائر وحربها الاستئصالية التي سعت من خلالها إلى طمس الشخصية والهوية الجزائرية، «الأمر الذي جعل العلاقة بين المحتلين وأهل البلد المستعمر علاقة حرب وتوتر دائم منعت أي احتكاك ايجابي بين الطرفين ووقفت حائلا دون أي تعاون وذلك لانعدام الثقة بينهما».[4] ويكون السبب الثاني في نظره هو سياسة التجهيل التي طبّقتها فرنسا، حيث قضوا على المنظومة التعليمية التي كانت قائمة ولم يعوضوها بمنظومة أخرى تضمن لأبناء الشعب الحد الأدنى من التعليم. وقد نبّه الباحثون إلى وجود عدّة عوامل ساهمت في تأخير ظهور هذا الأدب، وقسّموها إلى:

1. **عوامل سياسية:**

"لقد تطلبت الثورة التحريرية تجنيد طاقات بشرية وفكرية، فلم يكن للأدباء الوقت لاستيعاب هذا التطور، وهذا هو الذي أدّى بهم إلى الاهتمام بالشعر، وسيلة للتعبير عن أوضاعهم، بخلاف الرواية التي تتطلب نظرة أشمل، واستمر الأديب الجزائري مسهماً في استمرار الثورة وهو يصارع في الميدان السياسي من خلال الشعر، والمقالة، والقصة القصيرة، التي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعاً رومنسيا واضحاً».[5]

2. **عوامل اجتماعية:**

لقد أدّى سوء الظروف الاجتماعية التي عاشها الشعب الجزائري إبان فترة الثورة التحريرية من جهة، وسياسة التجهيل التي فرضتها فرنسا من جهة أخرى انتشار نسبة كبيرة من الأمية،" ذلك أن اللغة العربية التي خضعت لنمطية تطور الإنسان، كان الاستعمار الفرنسي يتحكم في حركيتها إلى حدّ بعيد، وذلك ما أسهم في عدم وجود نقد ونقّاد وقرّاء، وزاد القضية صعوبة فرض

[1] عايدة أديب بامية، **تطور الأدب القصصي الجزائري** (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1982)، ص59.

[2] المرجع نفسه ، ص59.

[3] المرجع نفسه، ص60.

[4] أحمد منور، **الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**، مرجع سابق ،ص 90.

[5] محمد مصاريف، **الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام** (الدار العربية للكتاب، الجزائر، دط؛ 1983)، ص8.

الرقابة على النوادي والصحف، أضف إلى ذلك الظروف المعيشية القاسية من فقر وبطالة لم تساعد على بوجود فئة من الكتاب"[1]، ونتج عن ذلك تأخر هذا النوع من الأدب.

3/عوامل ثقافية وفنية: لم الأدباء الجزائريون في حقبة الاحتلال نماذج روائية يقلدونها عدا بعض المؤلّفات التي كانت بسيطة وساذجة «في وقت غابت فيه الرواية العربية الجزائرية عن الساحة الأدبية باستثناء محاولات رضا حوحو التي توقفت عن نموها لظروف».[2]

المبحث الثاني: مضامين الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

المطلب الأول: الموضوعات التي عالجها وأهم رواده

1. الموضوعات التي عالجها:

" لقد عالج الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مجموعة من المسائل الصعبة ذات الصلة بالمجتمع الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، وكان المرآة العاكسة للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، المتعلّقة بالوطن، وبحياة بالمهاجرين الجزائريين في فرنسا في ذلك الزمان".[3] وتناول كلّ جرائم الاستعمار التي ارتكبت في حق الشعب الأعزل، و ما كان يعانيه هذا الشعب من فقر وتهميش، ناهيك عن التعذيب والتشريد، سلط الضوء على كلّ ذلك، أضف إلى ذلك طموحه إلى التحرر والحياة الكريمة. ويتجلّى ذلك واضحاً في رواية "ابن الفقير" و"الأرض والدم" لمولود فرعون، وثلاثية محمد ديب، حيث صوروا الواقع المعاش تصويراً دقيقاً بكل ما يحمله من مأساة.

وانتقل الأدب الجزائري إلى معالجة موضوعات متعلقة بحرب الثورة التحريرية، ونذكر على سبيل المثال، "رواية آمنة مشاكرة "المغارة المتفجرة" سنة 1979م" ، و"التمزق" 1980م، و"الامتحان الأخير" لمحمد شايب سنة 1983م، و"عصابة الأطلس" و"أسود الليل" 1985م، والأطلس يحترق 1978 لعز الدين بوعور".[4]

إن المواضيع التي تمّت معالجتها تتعلّق بالمعارضة السياسية والنقد اللاذع للأوضاع الاجتماعية والفساد الإداري ومسألة الهوية الوطنية، والهوية، والتي تطرّقت إليها روايات مولود معمري وكاتب ياسين.

---

[1] يُنظر، واسيني الأعرج، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية** (المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، دط؛ 1986)، ص479.

[2] المرجع نفسه، ص89.

[3] يُنظر ابراهيم محمد جبريل، **ملخص الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية** أنظر الرابط: http/m.alhewar.org

[4] يُنظر أحمد منور، مرجع سابق، ص123

"واستمر هذا الأدب يأخذ موضوعاته من الواقع المعاش ويرصد التحولات الاجتماعية والسياسية آنذاك والموضوع الذي شغل أدهان هؤلاء باستمرار في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، السيرة الذاتية للمؤلفين نذكر منها رواية" الشمس تحت الغربال 1982م، والنظرة المجروحة 1987م لرابح بالعمري، ورواية" رأس المحنة1991 م لعبد الرحمن الوناس".[1]

2. أهم رواد الرواية المكتوبة بالفرنسية:

لقد قدم كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إنتاجاً كبيراً، فكتبوا عن الثورة التحريرية وعن الفترة التي سبقتها، وكانت كتاباتهم سلاحاً ضد المحتل، وتُصنف رواياتهم ضمن أدب المقاومة أو أدب الثورة ومن أبرز الروائيين الجزائريين:

أ/ محمد ديب:

تقول جبور أم الخير في هذا الشأن: «ولد بتلمسان في 21 جويلية 1920 وسط عائلة متواضعة، درس بتلمسان ثم انتقل إلى وجدة، اشتغل معلما قبل الحرب العالمية الثانية بين 1938و 1940 نفي من الجزائر بسبب نشاطه السياسي تجول بعدة دول شرقية وبالمغرب، وتوفي سنة 2003».[2] ويعد محمد ديب أحد أبرز الروائيين الجزائريين وكذلك أحد مؤسسي الحركة الأدبية الفرانكفونية في الجزائر.

«وله مؤثرات ثقافية نهاية الحرب العالمية الأولى ففي سنة 1934 بدأ ينظم االقصائد ويرسم اللوحات، تحصل على جائزة جمعية الكتاب باللغة الفرنسية سنة 1978، كما نشر أول قصائده في مجلة الأدب التي تصدر بجنيف تحت اسم مستعار (ديابي)».[3]

«وفي عام 1948 زار محمد ديب فرنسا لأول مرة من خلال وفد من الأدباء الجزائريين، وفي عام 1952 أصدر روايته المشهورة" الدار الكبيرة"، وفي سنة 1954 نشر مجموعته القصصية "في المقهى" ثم نشر الجزء الأخير من الثلاثية عام 1957 تحت عنوان النول».[4]

«وما ميزه عدم انقطاعه عن الكتابة كما حدث مع غيره من الكتاب رغبة منه في تقديم يد العون لشعبه بالكلمة، ومعالجة الحالات الإنسانية التي فقدت الأمل في العيش الكريم وبلغ منها اليأس بلغا كبيرا».[5]

---

[1] يُنظر أحمد منور، **تطور الأدب القصصي الجزائري** (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية: الجزالر، دط؛)1982، ص59.

[2] جبور أم الخير، مرجع سابق، ص430. 431.

[3] المرجع نفسه، ص430.

[4] محمود القاسم، **الأدب العربي المكتوب بالفرنسية** (الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، دط؛1996)، ص119

[5] حبيب فاطمة الزهراء، **ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية رواية بما تحلم الذئاب لياسمينة خضرة** (دراسة تطبيقية إشراف د. بلقاسمي حفيظة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة وهران أحمد بن بلة سنة 2015. 2016)، ص51، 52.

ب/ مالك حداد:

"مالك حداد من مواليد 1927م بقسنطينة، عمل معلماً لفترة قصيرة تنقل عبر مدن وبلدان عدة منها باريس، لوران، تونس...إلخ، عاد بعد الاستقلال إلى أرض الوطن وأشرف في قسنطينة على الصفحة الثقافية بجريدة النصر ثم انتقل إلى العاصمة ليشغل منصب مستشار ثم مدير للآداب والفنون بوزارة الإعلام والثقافة. أسس سنة 1969مجلة آمال، ويعد أول أمين عام لإتحاد الكتاب الجزائريين في الفترة بين 1974 و 1978، توفي في 02. 06. 1978م »،[1] أصدر عدة مجموعات شعرية منها مجموعة" المأساة في خطر" سنة 1956، أما السنوات بين 1958 وحتى 1961 فقد كان يكتب بمعدل قصة كل عام، بدأ بقصة "الإحساس الأخير"1958، "أقدم لك غزالا "1959، والطالب والدرس 1960، ثم رصيف الأزهار لا يجيب" 1961، كما أصدر في نفس تلك السنة مجموعة شعرية بعنوان" استمع إلى ندائي" 1962م".[2]

أما فيما يخص أعماله الروائية فقد أصدرها بعد اندلاع حرب التحرير حيث أنه شارك في حرب التحرير وكان يعتبر اللغة الفرنسية منفى أبدي ومأساة، وتيقنه بعد تحقيق النصر بأن المستقبل سيكون في اللغة العربية.

"يمثل التشكيل الروائي عند مالك حداد عالما أخر بما يكتنفه من تلميح، وإيحاء، وشعرية مطبوعة بطابع الالتزام."[3]

ج/ كاتب ياسين:

فيما يتعلّق بكاتب ياسين فقد «ولد في زغود يوسف، ضواحي قسنطينة سنة 1929م، وهو مؤلف الرواية الشهيرة "نجمة" التي نشرت سنة 1956 والتي تعتبر أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة، وقد استقبل النقاد والمفكرون هذه الرواية بحفاوة بالغة، كما اعتبروا مؤلفها أحسن من يمثل مدرسة إفريقيا الشمالية الأدبية من غير الأوروبيين»،[4] وترمز نجمة في دلالتها الإيحائية إلى الجزائر الجميلة التي مزقتها مآسي وقسوة الحرب، كما ترتبط في أحداثها بسيرة حياة الروائي كاتب ياسين والتي جعلت اسمه يلمع في عالم الأدب، اعتبرها النقاد من أجمل النصوص التي كتبت باللغة الفرنسية.

"ويعتبر عام 1945م نقطة تحول ملحوظة في حياة "كاتب ياسين"، ففي الثمن من مايو حدثت المظاهرات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي وتم القبض عليه وطلبوا منه أن يخون وطنه، إلا أنه رفض فبقي في السجن فترة من الوقت يمارس الكتابة والإبداع".[5]

---

[1] على الساعة 10: 00 http//L9alam.com 28/03/2023

[2] يُنظر سعاد محمد خضر، **الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية** (المكتبة العصرية: صيدا، بيروت، دط؛ دس، ص202.

[3] صليحة برادي، **التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد** (إشراف عبد القادر توازن، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، تخصص : الدراسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري ،جامعة حسيبة بن بوعلي ، شلف ،2011. 2012) ص157.

[4] أبو القاسم سعد الله، **دراسات في الأدب الجزائري الحديث** (دار الرائد للكتاب :الجزائر،ط5؛ 2007)،ص102.

[5] محمود القاسم، ، مرجع سابق ،107.

«توفي كاتب ياسين في 28 أكتوبر 1989 بمدينة غرونوبل الفرنسية عن عمر ناهز 60 سنة بسرطان الدم نقل جثمانه ودفن في الجزائر يوم أول نوفمبر 1989»،[1] ولقد سخر كاتب ياسين قلمه وفنه في خدمة القضية التي كان يؤمن بعدالتها، وأن الجزائر حرة، وسيكون مستقبلها مشرقا.

د/ مولود معمري:

"ولد معمري في 28 ديسمبر 1917 بتيزي وزو، أتم دراسته الثانوية في مدينة الرباط بالمغرب ثم عاد وأكمل تعليمه العالي بالجزائر ثم في باريس حيث حاز على شهادة ليسانس في الآداب ...وفي أواخر 1962 عاد إلى الجزائر حيث عين في جامعة الجزائر وفي سنة 1988 نال شهادة الدكتوراه الشرفية من جامعة السوربون، وفي 26 فيفري 1989 توفي في حادث سير بعين الدفلى، نشر أول روايته سنة 1952 بعنوان" الربوة المنسية"، وفي سنة 1955 " سباب العادل"، وفي 1965 " الأفيون و العصا"، وفي 1982 أصدر روايته" الجولة".[2]

وقد اشتهرت مؤلفاته وترجمت أعماله للغات متعددة، فقد كان كاتبا فذا ينبذ الاستعمار فلطالما تغنى بالسلم والحرية والأمان.

هـ/آسيا جبار:

«ولدت آسيا جبار في 4 أغسطس عام1936، في مدينة شرشال وأتمت دراستها الثانوية في مدينة البليدة ثم واصلت دراستها العليا وتخصصت في التاريخ والجغرافيا من ثم اشتغلت بالتدريس في مدينة لجزائر وكانت بداية حياتها الأدبية قد تميزت بنشرها بعض المقالات والقصص القصيرة والمقابلات الصحفية في بعض المجلات الدورية»،[3] وتعتبر فاطمة الزهراء إمليان المشهورة باسم "آسيا جبار" من أهم الروائيات في الجزائر وفي شمال إفريقيا إبداعا، "فقد رشحت لنيل جائزة نوبل للآداب، حيث عرفت بمساندتها ودفاعها عن قضايا المرأة، كما كانت روايتها تجسد الموقف المناهض للاستعمار وللسلطة الأبوية.

قامت بإخراج عدد من الأفلام التسجيلية في فترة السبعينات منها (الزردة وأغاني النسيان) عام 1978، وفيلم روائي طويل بعنوان" نوبة نساء شنوة" عام 1977، ومن أعمالها الروائية(ظل السلطانة، لا مكان في بيت أبي، نساء الجزائر، ليالي ستراسبورغ، الجزائر البيضاء) أقامت في فرنسا حتى وفاتها في فبراير عام 2015 عن عمر ناهز 79 عاما".[4]

[1] 23/ 2023/03 على الساعة: 00: 23.http//ar.m.wikipedia.org .

[2] ينظر جبور أم الخير، مرجع سابق، ص 428.

[3] ينظر سعاد محمد خضر، مرجع سابق، ص212.

[4] على الساعة: 30: 23 23/ 2023/03.httpp//ar.m.wikipedia.org.

المطلب الثاني: إشكالية الهوية والانتماء في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

الالتباس والغموض حاضر في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وهذه إشكالية عويصة لأنّ الالتباس لم يقتصر على أدب شمال إفريقيا بل تعداه إلى الآداب الأسيوية والأوروبية، حيث يجد الباحث نفسه مجبوراً على التوصّل إلى المدى الذي تصح فيه جنسية هذه الآداب.

ونجد الدارسين لهذه القضية توزّعوا بين فكرتين لا بد من العودة إلهما لمعالجتها الإجابة عن كلّ الأسئلة المتعلّقة بالموضوع، توزّعت بين المدرسة الأمريكية التي دائماً تختلف مع الرؤية الأوروبية، وهي ترى أن اللغة لا يتعدى دورها التواصل والتعبير، ولا يجدي اعتباره معياراً لتحديد هوية الآداب القومية، في حين ترى المدرسة الفرنسية أنّ اللغة هي التي تحدّد مسار وانتماء وهوية الأدب، ومن هذه الزاوية فإنّهم لا يعترفون بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، بل يصنّفونه أدباً فرنسياً على أساس اللغة التي كتب بها.

«ومن هنا شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ظاهرة ثقافية وغوية، وطرحت إشكالية حول هويتها وانتمائها كما أثارت جدلا كبيرا بين نخبة من النقاد والدارسين حول تصنيفها أهي أدب جزائري أم فرنسي؟».[1]

يعتقد البعض في عروبة هذا الأدب وانتمائه الجزائري على الرغم من حمله من ثقافة غربية وهذا ما نجده عند عبد الله الركيبي حين يقول «وجملة القول فإن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية قد أوجد لظروف وأسباب وفي مرحلة معينة، وهو وإن كتب بلغة أجنبية فإنه عبر عن مضمون جزائري، وواقع وطني الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا».[2]

تحدث الأستاذ محمد الميلي عن الروح الجزائرية لهؤلاء الكتاب فقال: «هذه الروح التي استمدت أصالتها وعمقها من تأثير البيئة التقليدية ولأم الجزائرية، وتلك الروح هي التي جعلتهم ينجحون في التخلص من التأثير السلبي للثقافة الفرنسية».[3]

فيما يتعلّق بالمجموعة الثانية فإنّها سعت إلى تجريد الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من هويته الجزائرية والعربية بحجّة أنّ اللغة: «هي وسيلة للتعبير، وهي التي تحدد هوية الأدب وانتمائه الخاص للجنس والوطن والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك»،[4] ومن هؤلاء جمال الدين بن الشيخ الذي قال في هذا المجال: «إن الأدب العربي لا يمثله إلا من يكتب باللغة العربية وبالنسبة للجزائر

[1] هواية خليف، **نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء** (مجلة دراسات معاصرة، العدد2، جوان 2017)، ص81.

[2] عبد الله الركيبي، **القصة الجزائرية القصيرة** (المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، ط 1؛ 1983)، ص 249 ، 273 .

[3] إبراهيم الكيلاني، **أدباء من الجزائر** (دار المعارف و النشر: مصر، د ط، 1998)، ص 28.

[4] سيد حامد الصباح، **بانوراما الرواية العربية الحديثة** (دار المعارف: مصر، د ط؛ 1980)، ص 157.

لا مستقبل للثقافة العربية إلا باللغة العربية».[1] "وتعدّد الآراء إلى غاية اعتبار الكتاب الجزائريين في صف واحد مع الكتاب الفرنسيين الذين ولدوا هم أيضا على أرض الجزائر وعاشوا فيها".[2]

«الكتاب الجزائريون الذين عبروا بلغة فرنسا قد عاشوا مأساة لأنهم لا يستطيعون التعبير باللغة العربية وفي هذا الشأن يقول مالك حداد "إنّ اللغة الفرنسية هي المنفى الذي أعيشه...إننا نكتب بلغة لاشك أنها رائعة ولكنّها ليست لغة أجدادنا».[3]

ولم يسلم كاتب ياسين من الإحساس بهذه المأساة، «ولذلك قرر بعد طول صمت دام ثلاثة عشرة عاماً التخلي نهائيا عن الكتابة بالفرنسية لأنها غير مفهومة لدى الأغلبية الساحقة من الشعب الجزائري وبالأخصّ جمهور الفلاحين والعمال، أما آسيا جبار فقد أيدت مالك حداد في رأيه قائلة: لقد كان منفانا الأول لغويا، وكان ذلك منذ عهد الصبا، فحاولت في كتاباتها أن تمزج بين موروثها الثقافي العربي وبين قواعد اللغة الفرنسية».[4]

كلّ هؤلاء الكتاب يرون أن الكتابة بالفرنسية أملتها عليهم ظروف الاحتلال، إلاّ أنّ هذا الإبداع يعبر عن معاناة الشعب الجزائري، ويحمل في ثناياه روح الإنسان الجزائري فهو بذلك أدب جزائري خالص.

اختلف محمد ديب ومولود معمري غيرهم، فقد اعتبرا أن التعبير باللغة الفرنسية لا يمثل مأساة، ويقول مولود معمري في هذا الشأن «يجب أن لا نبكي ونشعر بالضياع لأننا نكتب باللغة الفرنسية، فأنا شخصيا إذا كتبت بالفرنسية فإني لا أشعر بأي عقدة نقص، فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما هي ترجمة لعواطفه وأفكاره».[5]

مهما اختلفت وجهات النظر حول هوية الأدب الجزائري فهذا لا يعني «أنه أدب منفصل كتب بلغتين مختلفتين، بل يعتبر أدبا واحدا متكاملا ساعدت فئات الشعب باختلاف ثقافته في تكوينه وخلقه، كما فرضت عليه الظروف الموضوعية أن يستخدم كأداة للتعبير هذه اللغة أو تلك»،[6] وإنّ هذا الأدب في تاريخه الأخير أصبح وسيلة نضالية للكفاح ضد المستعمر والتعريف بالقضية الجزائرية. وفي الأخير نستطيع أن نقول أن الكتّاب الجزائريين استفادوا كثيراً من اللغة الفرنسية وإن كانت لغة العدو فإنّهم أوصلوا بها الرسالة إلى المحتلّ الفرنسي الذي لا يفهم اللغة العربية، وكانت الفرنسية بالنسبة لهم سلاحاً للرد على سياسة المحتلّ التي لطالما حاول من خلالها القضاء على الروح الجزائرية ونشر الثقافة الأوروبية، ذلك أن مشاعر الجزائريين واحدة مهما اختلفت اللغة التي يعبّرون بها، ويقتصر ذلك على حقبة ما قبل الاستقلال إلى قبيل اندلاع أحداث 05 أكتوبر 1988م التي يتغير فيها

---

[1] عبد الله الركيبي، **الفرنكفونية مشرقا ومغربا** (دار الكتاب العربي: الجزائر، د ط؛ د س ن)، ص 84.

[2] يُنظر لخضر بلقاق، **الأدب الجزائري المكتوب بالعربية وسؤال الهوية**، (مجلة قضايا معرفية، العدد 3، جانفي 2019)، ص6.

[3] أم الخير جبور، مرجع سابق، ص 75.

[4] أحمد منور، مرجع سابق، ص 166.

[5] سعاد محمد خضر، مرجع سابق، ص 90.

[6] المرجع نفسه، ص 83.

الكلام عن وحدة الرؤى والتمسك لأنّ الفرقاء وصلوا إلى مفترق الطرق... فهذا التعدد بحذ ذاته كان في السابق ثراءً للأدب الجزائري.

الفصل الثالث: رواية زهرة زوجة عامل المنجم

❖ المبحث الأول: نبذة عن حياة عبد القادر حاج حمو

المطلب الأول: تعريف الكاتب وأهم أعماله.

المطلب الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية في شخصية عبد القادر حاج حمو

❖ المبحث الثاني: دراسة في رواية زوجة عامل المنجم.

المطلب الأول: دراسة سيميائية في رواية زهرة زوجة المنجمي

المطلب الثاني: سمات الهوية في رواية زهرة زوجة عامل المنجم.

تمهيد:

لقد كانت البدايات الأولى للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في عشرينيات القرن الماضي على يد ثلّة من الكتاب المستعمرين الفرنسيين، فقد سعوا جاهدين إلى نشر الثقافة الأوروبية في البلاد العربية، أي الحضارة الغربية،" وقد كان هذا الأدب جزءًا لا يتجزأ من السياسة الاستعمارية، للقضاء على الهوية الجزائرية ،حيث حاول هؤلاء إقناع الناس بضرورة الاندماج في المجتمع الأوروبي، ومن هؤلاء نذكر: روبرت راندو، هينغلورو، وفيرديناند دوشين، فقد حاول هؤلاء رسم صورة الرجل الفرنسي بكلّ ما فيه من إيجابيات والإشادة بفضائل الاستعمار"،[1] منتظرين نجاح السياسة الاستيطانية.

وعلى خطى هؤلاء الكتاب الأوروبيين المستعمرين، ظهرت مجموعة من الكتاب الجزائريين يكتبون باللغة العربية من أمثال محمد ولد الشيخ، وشكري خوجة، وعبد القادر حاج حمو" الذين كانت أعمالهم تسير على خطى "روبرت راندو"، أضف إلى ذلك "جميلة دباش"، فقد تبنوا الثقافة الأوربية الغربية وكانت بالنسبة إليهم موضع افتخار، وهذا ما عبّروا عنه في رواياتهم التي حاولوا التأكيد من خلالها أن مظاهر الحضارة الأوروبية «تتجلى في حرية الفرد ليس إلاّ»[2]، فقد شجعوا الناس على ضرورة الانصهار في المجتمع الفرنسي عن طريق الزواج المختلط والمشاركة في المشاريع التي جاءت بها فرنسا.

يتجلّى لنا أنّ أدباء عشرينات القرن الماضي قد تأثروا بالآخر تأثرا كبيرا، وانصهروا في المنظومة الاجتماعية الجديدة التي خلقها الاستعمار، وبعدها تأتي فترة الخمسينيات التي عرفت انقلابا في الموازين، كما سميت بمرحلة التمرد، حيث ظهرت طائفة جديدة من الكتاب، خلقت ظاهرة جديدة في مجال الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، لتتحدث عن معاناة الشعب الجزائري وهمومه وظروفه القاسية.

[1] سعاد محمد خضر، مرجع سابق، ص85.

[2] المرجع نفسه ،ص97.

المبحث الأول: نبذة عن حياة الحاج حمو

المطلب الأول: تعريف الكاتب وأهم أعماله

عبد القادر الحاج حمو (1891-1953) واسمه المستعار عبد القادر فكري من مواليد مدينة مليانة، من أسرة عريقة يرجع أصلها إلى مازونة بالغرب الجزائري، وإلى شيوخ الطرق بمدينة بسكرة. كان والده قاضيا بمليانة وهو خريج المدرسة الفرنسية، وحاصل على دبلوم الترجمة الشرعية, عُين في بداية حياته المهنية كمدرس لمادة اللغة العربية في مؤسسة التعليم الرسمي "بسانت أوجين "بالعاصمة (الرايس حميدو)، تم تعيينه كإمام للجامع الكبير بالعاصمة لمدة عشرين سنة، كان عضوا في الحركة الماسونية ونائبا لرئيس جمعية الكتاب الجزائريين التي أنشأها المستوطنون الفرنسيون سنة 1889، ألقي كلمة باسم موظفي السلك الرسمي من المسلمين وكذا الكتاب الجزائريين المسلمين في الاحتفال الذي أقامه الفرنسيون سنة 1930 بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر.

من أهم أعماله رواية "زهرة زوجة المنجمي" عام 1925، ورفقاء الجنية سنة 1933، وهي عبارة عن محاورات مطولة تبادلها مع زعيم مدرسة المتجزئريين "روبرت راندو" حول مسائل مختلفة في الدين الإسلامي وعن المجتمع الجزائري".[1]

المطلب الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية في شخصية عبد القادر الحاج حمو

من المعروف أن كتاب عشرينيات القرن الماضي قد أعلنوا وبشكل صريح ولائهم لفرنسا من أمثال شكري خوجة، ومحمد ولد الشيخ، وعبد القادر الحاج حمو، فقد آمنوا بالأفكار الاندماجية التي نادت بها فرنسا باعتقادهم أن فرنسا هي دولة الحضارة والتطور «فهم قبل كل شيء نتاج المدرسة الفرنسية، ينتمون إلى أبناء الذوات والأعيان وإلى المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية، يؤمنون بفكرة التعايش مع الاستعمار والاندماج مع المستوطنين»،[2]ومع ذلك اهتموا بمجموعة من القضايا التي تخص المجتمع الجزائري، كتأثر الثقافة الأوروبية عليه، ومشكلة تعاطي المخدرات وشرب الخمور، ولعب القمار وهي عادات تشكل جزء من يوميات الفرنسيين الذين دخلوا إلى الجزائر والتي تعد محرمة في الشريعة الإسلامية «مع العلم أن هؤلاء لم ينظروا إلى الأمر من الناحية الشرعية المحضة، وإنما أولوا عنايتهم بتصوير آثارها على الأسرة، وهذا ما عالجه عبد القادر الحاج حمو في روايته زهرة زوجة المنجمي، وشكري خوجة في روايته المأمون». [3]

"لقد كان الحاج حمو يحلم بجزائر فرنسية إلى الأبد مدمجة كليا يحترم فيها كل واحد ديانة الآخر، حيث رسم لنا صورة مثلى للتعايش بين مختلف الأطراف التي يتشكل منها الشعب الجزائري، وذلك من خلال حواره مع روبرت راندو، وكذلك من

[1] يُنظر أحمد منور، **الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه**، مرجع سابق، ص191

[2] المرجع نفسه، ص95.

[3] المرجع نفسه، ص96.

خلال إصداراته في المجلات التي تحمل الكثير من التناقض محاولا إخفاء حقيقة المستعمر."[1] فقد تميزت كتاباته بمطابقتها لثقافة المحتل وهو ما جعل القراء يشككون في نزاهة واستقامة مواقفه، والدليل على ذلك بعض المقاطع التي صدرت له في مجلة ميكوري دي فرانس (زئبق فرنسا)، قائلا: «نؤمن بأن فرنسا هي أعظم قوة إسلامية في العالم، لذا وجب على كل فرنسي معرفة الإسلام والمسلمين، أو عندما يتكلم عن نفوذ فرنسا في بلاد المسلمين، لقد بدأ المسلمون في الجزائر والمغرب ومنذ رفوف العلم الفرنسي في فهم ديانتهم التي كانوا يجهلونها».[2]

وهكذا فإنّ عبد القادر الحاج حمو لم يكن له أي تقدير لدى الوطنيين الجزائريين وأنّ الأدب الجزائري باللغة الفرنسية سرعان ما تجاهل مؤلفاته. «و إذا كانت رواية زهرة زوجة عامل المنجم لاقت الكثير من النقد بسبب الخرق والرعونة في التعابير إلى جانب ثقلها في الأسلوب فإن حواراته مع روبرت راندو رفقاء الحديقة هي التي أثارت نقدا عنيفا ولاذعا بسبب مثاليته التي تخفي حقيقة النظام الاستعماري ويوميات المسلمين الجزائريين مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية».[3]

إن المسار الفكري لعبد القادر الحاج حمو يجعله الأكثر ريبة نظرا للتناقضات الكثيرة التي يحملها مذهبه الإيديولوجي والذي يصعب عليه التخلص منه.

[1] مومن سعد، **الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية** انظر الرابط: http/ : alantologia.com27/04/2023 20 :48

[2] مومن سعد، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ،مرجع سابق.

[3] سامية داودي، **محاضرات مقياس الرواية الجزائرية** (كلية اللغة العربية، جامعة تيزي وزو، الجزائر،2020)، ص50.

المبحث الثاني: رواية زهرة زوجة عامل المنجم.

المطلب الأول:الدراسة السيميائية للرواية

1. ملخص الرواية.

تحمل الرواية اسم بطلتها "زهرة" كما جرت العادة في معظم روايات العشرينيات من القرن الماضي، وتجري وقائعها بمدينة مليانة في الوسط الشمالي، ولأجل ذلك يحتل منجم الحديد الذي يقع في جبل "زكارة" المشرف على المدينة موقعا رئيسيا في الرواية، «فقد حاول الكاتب منذ بداية الرواية أن يدخل القارئ في جو التحول الصناعي الذي أفسد على الناس حياتهم، فأصبحوا يستيقظون في غمة الصباح الباكر لا على صياح الديك، ولكن على هدير محركات القطار وحركة السيارات في الشوارع فكانوا يستقبلون يومهم مشدودي الأعصاب يلعنون تلك الآلات الحديثة التي أقلقت راحتهم».[1] ومع ذلك لم يتضايق السكان من ضجيجها بالمقارنة مع المنافع التي كانت تقدمها هذه الآلات _ مع العلم أنها وضعت للمستوطنين _ وقد انجر مع هذا التحول الصناعي مجموعة من المفاسد الاجتماعية والأخلاقية أدت إلى انسياق بعض الناس من ذوي النفوس الضعيفة وراءها كما سماهم الكاتب المسلمين السيئين، "فلم يكونوا يأخذون عن الأوروبيين إلا الموبقات وأولها الكحول التي هي أشد مقتا إلى النفس"[2]، والدليل على ذلك المنجم الذي من المفروض هو رمز للعمل والتصنيع،" ولكنه أدى إلى انتشار الخمارات وشيوع القمار وحدوث اعتداءات على النساء فأفسدت هذه الخمارات الأوروبية الشباب"[3].

تروي هذه الرواية حياة المليانى وهو أحد أبناء مليانة، الذين أرهقتهم الظروف المعيشية ودفعتهم للعمل في المنجم، قد اهتم الكاتب بهذه الشخصية وصور مراحل حياتها بدقة، ليبين الرسالة الاجتماعية التي يريد إيصالها، فقد تتبع الأحداث منذ الرشفة الأولى إلى أن صار سكيرا، لا يستطيع الإقلاع عن الشرب بعد أن أحدث مقارنة بين ما كان عليه من استقامة وحسن سلوك، وكيف تأثر بالعادات الغربية لتنقلب حياته رأسا على عقب، فبالرغم من فقره كان يعيش مع زوجته زهرة حياة مستقرة يزاول فيها شعائره الدينية، وظل المليانى على هذه الحال إلى أن عاشر أحد الأوروبيين كان معه في المنجم اسمه" كريمتشي" رئيسه في العمل وهو من أصل ايطالي وقد ربطتهما علاقة صداقة«لأنه كما صرح البطل لم يكن يجرحه كأغلبية المستوطنين ولم يكن يشاركهم مواقفهم العنصرية اتجاه العرب، غير أنه كان سببا في دخوله للوسط الاجتماعي الأوروبي، وكان شفيعه في دخول الحفلات الأوربية، الشيء الذي أثر عليه وجره إلى معاقرة الخمر».[4]

---

[1].Abd-el-Kader hadj hamo,**'Zohra, la femme du mineur''** edition dar algharbe. oran,2007, P17

[2] .P27 ibid

[3]أحمد منور مرجع سابق ص194.

[4]أحمد منور، مرجع سابق ، ص197.

حاول المليانى أن يقاوم تلك الضغوطات المعنوية التي كان يمارسها عليه "كريميشي"وزوجته "تيريز" التي كان تعرض عليه الخمر في كل مرة مع الابتسامات وكلمات لطيفة، إلا أن مقاومته ضعفت وتاه في غياهب الإدمان على الخمر.

لقد تأثرت زهرة بانقلاب حال زوجها فحاولت انتشاله من دوامة الإدمان بشتى الطرق، دون جدوى فعاشت في جو تملأه المشاكل والاضطرابات، وهذا ما أثر على صحتها الجسدية وأصيبت بمرض أدى بها إلى الوفاة، «ولم يكن فقدان المليانى لزوجته أولى المصائب فقد اتهم بقتل صديقه "كريمتشي" وحكم عليه بالسجن مدة خمس سنوات مع الأشغال الشاقة ظلما"»،[1] لاسيما أن الأمر يتعلق بقتل رجل أوروبي على يد شخص من الأهالي "الشيء الذي لم يكن لجهاز القضاء الاستعماري أن يتساهل فيه، لكن الغموض الذي اكتنف الجريمة وعدم وجود دليل قاطع ضده، وكذا اشتراك زوجة القتيل "تيريز" كان في صالحه لهذا جاء الحكم مخففا"[2].

في النهاية كان الدرس قاسيا بالنسبة للمليانى، فقد كلفه الإدمان على الخمر ثمنا غاليا وأكبر ثمن فقدان زوجته "زهرة" التي ماتت في ظروف قاسية كان هو المتسبب فيها، وقد ظل ضميره يعذبه لأجلها، كما دفع ثمن صحته التي اعتلت وشبابه الذي ذهب في غياهب السجون.

2. **الغلاف**:

يعد غلاف الرواية من العناصر المهمة التي تعبر عن ماهية الرواية بطريقة سيميائية موحية، ولهذا نجد أن الكاتب يهتم به اهتماما كبيرا لأنه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر، فهو يثبث هوية الكِتاب لصاحبه ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية.

وإذا أردنا أن نجري دراسة حول غلاف رواية زهرة زوجة عامل المنجم فقد صدرت هذه الرواية في نسختين، النسخة الأولى هي مزيج بين لونين، اللون الأبيض الدال على السلام والأمل والتفائل، واللون الأسود الدال على الظلام، التشائم، الحزن، وقد عمد المؤلف إلى هذين اللونين المتناقضين لإبراز الصراع والتناقض الذي كان يعيشه البطل في حياته، يعلو الغلاف اسم الكاتب مكتوب باللغة الفرنسية، ثم يليه اسم الرواية مكتوب باللون الأسود بخطذي حجم كبير،ي توسط الغلاف صورة منجم يعمل فيه مجموعة من العمال يتوسطهم مستوطن فرنسي يبدو عليه أنه صاحب العمل، وفي أسفل الصورة كتبت عبارة مليانة، جانفي 2019، باللغة الفرنسية.

أما النسخة الثانية: نجد الغلاف باللون الأبيض تتوسطه صورة جبل مغطى بالعشب الأخضر، ومن المعلوم أن اللون الأخضر على الجمال والخيرات التي تزخر بها المنطقة، وتتوسط الصور صورة لمعول يشير إلى طبيعة عمل البطلكونه أداة أساسية في عمل المناجم، وفي اليمين صورة ألماسة كتب عليها اسم دار النشر" دار الغرب "، وفي الأعلى كتب اسم عبد القادر حاج حمو باللغة الفرنسية يليه اسم الرواية "زهرة زوجة عامل المنجم "باللغة الفرنسية.

---

[1]. Abdelkader hadj hamo. OP.CIT.215P

[2]أم الخير جبور، مرجع سابق، ص209.

إن المزج بين الألوان في الرواية لم يكن اعتباطيا، فكل لون من هذه الألوان له دلالة ويمثل حدثا من أحداث الرواية، فالمتمعن في ألوان الرواية يجد أن الكاتب استعمل ألوانا بسيطة تدل على بساطة الحياة في تلك المدينة وبساطة اهلها.

3. العنوان:

"العنوان الإعلان عن طبيعة النص، فهو إعلان عن القصد الذي يريده الكاتب إما واصفا بشكل محايد وكاشفا غير آبه لما سيأتي، العنوان يظهر معنى لنص والأشياء المحيطة به، فهو من جهة يلخص المكتوب ومن جهة ثانية بارقة تحيل إلى خارج النص".[1] و للعنون قوته تتمثّل في كون «قوة العنوان طاقة مساعدة للقارئ من اقتحام عالم الكتاب والولوج إلى خلفياته وسراديبه، فالدخول إلى رحابه وفي مجال الفعل القرائي يصبح العنوان قوة تشد القارئ إلى موضوع الكتاب لما يحمله من إيحاءات، وجاذبيات وإغراءات»[2]، فالعنوان هو الواجهة الأولى التي تصادف المتلقي وأول ما يلفت انتباهه فهو جسر عبور وهمزة وصل إلى مضمون النص، كما يساهم في استقراء مضامين النص فسر النص مرتبط بالعنوان.

يتكون عنوان الرواية من جملة اسمية ابتدأها الكاتب باسم الشخصية الرئيسية" **زهرة**" وهو من الأسماء المنتشرة بكثرة في الجزائر، ويدل هذا الاسم على الجمال والرقة والجاذبية كونه يدل على نوع من نباتات الزينة، يليه لفظة "**زوجة**"والتي تدل على المساندة وتحمل المسؤولية والمودة والرحمة لأن لفظة "الزوجة " تشير إلى تحمل مسؤوليات الأسرة بثقلها، ومالها من خصائص كالصبر وحسن التسيير وحل المشكلات المعقدة، أما الاسم الثالث في العنوان فهو اسم دال على الشخصية الرئيسية الثانية " **المنجمي**" هو اسم أطلق على زوج البطلة المدعو" المليايني" نظرا لطبيعة عمله فقد كني بهذا الاسم نسبة لعمله والنتيجة هنا أنّ عنوان الرواية يتمحور حول شخصيتان تمثلان محور دوران الأحداث.

4. الشخصيات:

عن الشخصيات يُقال: «تعد الشخصية عصبة الحياة في النصوص السردية الحديثة كالرواية والقصة وغيرها من السرود الأخرى، ومحور الحركة فيها وهي التي تقول وتفعل وتفكر وتقود الرواية من بدايتها إلى نهايتها».[3]وهي بالإضافة إلى ذلك، «المحور الذي تدور حوله الرواية كلها، ويكشف الحدث عن نوازعها وتوجهاتها، فهي الفاعل الأساسي في جوهر العمل السردي ويكون

---

[1] يُنظر جاسم محمد جاسم، **جماليات العنوان مقاربة في خطاب محمود درويش الشعري** (دار مجدلاوي للنشر والتوزيع: عمان، الأردن،ط1؛ 2013) ،ص101.

[2] عباس أحمد رحيلة، **العنوان حقيقة وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط** (دار الكنوز للمعرفة والنشر والتوزيع: عمان، الأردن، ط1؛2013)،47.

[3] سناء سليمان لعبيدي، **الشخصية في فن القصصي والروائي عند سعيدي المالح** (المكتبة الوطنية: دار غيداء للنشر والتوزيع: عمان، الأردن، ط1؛2016) ، ص18.

الحدث فعلها ومركز عملها، وتتحرك عبر الفضاء السردي الروائي والقصصي بما فيه من الزمان والمكان لتعبر عن الرؤية السردية للروائي والقاص».[1]

الشخصية جزء لا يتجزأ من أي عمل أدبي، لا يمكن الاستغناء عنها، لذلك فإنّ الأحداث تنتسب إلى الأشخاص سواء أكانوا من العالم الواقعي أو من العالم الخيالي، ولهذا يمكن أن تتفاوت درجة التفاعل بين الأحداث والشخصيات من رواية إلى أخرى، وبذلك نجد نوعين من الشخصيات رئيسية وثانوية.

أ. **الشخصية الرئيسية:** الشخصية الرئيسية حظيت بالاهتمام من بداية الرواية إلى نهايتها. وتبدو هذه الشخصية في الأغلب وسيلة لتجسيد رؤية الرواية، وبالتالي للها حرية تحريك الأحداث في الرواية كونها شخصية محورية فإنها تشد باقي الشخصيات الأخرى إليها،[2]ومن هنا نستطيع القول أن للشخصية المحورية تأثير عميق في مجرى الأشخاص وباقي الشخصيات الأخرى من خلال توجيه الراوي لمسار الشخصيات والأحداث في رواية زهرة زوجة عامل المنجم أجد أن المؤلف قد اهتم بالشخصية الرئيسية الملياني وزهرة، وأسند إليها وظائف تعبر عن واقع المجتمع الجزائري. وقد دارت أحداث الرواية حول شخصيتين رئيسيتين :

1. **زهرة:** وتلعب زهرة دور الزوجة الصبورة المتمسكة بالعادات والتقاليد الجزائرية، لطالما كانت سند لزوجها حيث وقفت معه في محنة إدمانه على الشرب "فتارة كانت تلومه لوما شديدا وتعاتبه لتأخره خارج البيت، وتبديد نقوده في الشرب، وإهمال البيت وتركها لوحدها وحيدة، تعاني البؤس والحاجة"،[3] وتارة تتبع معه أسلوب الملاطفة والملاينة استجابة لنصائح عمتها عائشة، ولم تترك وسيلة إلا واستعملها لدرجة لجأ لولي صالح " سيدي أحمد بن يوسف" تشفع له عنده . حسب اعتقادها . يرجع إلى الطريق الصحيح.

2. **الملياني:** هو الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث الرواية، لقد عرف بتدينه فكان محافظ على الصلاة والفرائض الدينية،«أخذ السجادة ووضعها باتجاه مكة واقفا بشكل مستقيم ووضع يديه بجانب رأسه ثم تلعثم قليلا وقرأ فصولا مختارة من القرءان»،[4]، هنا يظهر أن البطل كان متدينا كما عرف بحسن خلقه يقول الراوي:«كان الملياني شجاعا ولطيفا وصادقا بشخصية جادة جعلته يحظى باحترام أولئك الذين تقربوا منه، لذلك لم يدعوه باختصار ولكن سي الملياني، كان يتكلم ببطئ دون أن يرفع صوته».[5]

---

[1] سناء سليمان لعبيدي، مرجع سابق، ص19.

[2] فريال كامل، **رسم الشخصية في روايات حنا مينا**،(المؤسسة العربية للدراسات والنشر: دار الفارس للنشر والتوزيع : عمان الأردن، ط1؛ 1999)ص29.

[3]. Abd-el-Kader hadj hamo ; OP.CIT, P65

[4] Ibid. p03.

[5] Ibid. p 04.

لكن سرعان ما انقلب سناء سليمان لعبيدي ت شخصية المليابي من حال إلى حال بعد أن اضطر للعمل في المنجم مع مجموعة من الأوروبيين، مما جعله يتأثر بالثقافة الأوروبية. فأهمل صلاته وقراءته ووصل به الأمر إلى معاقرة الخمر وكان هذا سببا في وقوعه في مصائب أخرى كفقدانه لزوجته ودخوله السجن يقول الرواي واصفا حاله: «وعندما قرب الكأس من شفتيه أول مرة، كانت يده ترتعش، وكان وجهه شاحب ولكنه كان يبتسم لأولئك الذين ينظرون إليه ويدفعونه إلى الفساد كان يريد أن يبرهن لهم أنه متحضر، حيث كان التحضر في نظر بعض الناس هو شرب الخمر»[1].

3. **كريميتشي**: هو رجل ايطالي من أصول أوروبية يشغل منصب رئيس المنجم يتمتع بشخصية مرحة وبحبه للهو وشرب الخمر كان صديقا حميما للمليابي، حيث شجعه على شرب الخمر ولعب القمار لأنه يعتبر هذه الأمور متنفسا من هموم العمل، قتل بتدبير من زوجته "تيريز" بعد خيانته لها مع امرأة أخرى.

ب. **الشخصيات الثانوية**:

- **تيريز**: هي زوجة "كريميتشي" امرأة أوروبية متحررة جميلة محبة للحفلات والحياة الصاخبة، غالبا ما تصاحب زوجها للملاهي وكانوا من الذين شجعوا المليابي على الشرب، فكانت تقدم له كؤوس الخمر مع شيء من الملاطفة والكلام المعسول، وقد عرفت بنرجسيتها وقوة شخصيتها لدرجة أنها دبرت مكيدة لقتل زوجها دون أن تُوجه لها أصابع الاتهام مباشرة بعد أن اكتشفت خيانته لها مع امرأة تدعى " روزيت".
- **روزيت**: هي شابة يهودية تعرف إليها "كريميتشي" صديق "المليابي" في إحدى الملاهي وقد تطورت علاقتهما بشكل كبير، ولكن لم تستمر طويلا حيث اكتشفت زوجته خيانته لها فتخلصت منه.
- **العمة عائشة**: كانت العمة "عائشة" عمة زهرة، امرأة هادئة حكيمة شديدة التدين تحاول دوما الإصلاح بين زهرة وزوجها بالتي هي أحسن، فحثت زهرة على الصبر وعلى مساعدة زوجها في الخروج من محنته، وتنصح المليابي بالعناية بزوجته وبضرورة الإقلاع عن شرب الخمر لأنها تخرب البيوت وتقضي على المحبة والوئام بين أفراد الأسرة، وتضر بالصحة قائلة:" إن سنّي المتقدم يسمح لي أن أنصحك وأقول لك :إنّ الخمر يصنع بالرجل ما يصنع الجفاف بالنبتة، ولقد رأيت أكثر من واحد يموتون وهم ريعان شبابهم، وعرفت منهم من انغمس في الشجار والسرقة، اذهب إلى المسجد فذاك هو الدواء"

4. **المكان**:

"يساهم المكان في خلق معنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا، بل إنه أحيانا يمكن الروي من تحويل عنصر السرد إلى أداة تعبير عن موقف الأبطال"[2] وهذا ما نجده واضحا جليا في رواية" زهرة زوجة المنجمي"، فتحول البطل للعمل في المنجم،كان سببا في انقلاب حياته رأسا على عقب،وهنا يتضح أن هذا المكان كان سببا في تطور الأحداث وتأزمها، «فإسقاط

---

[1]. Abd-el-Kader hadj hamo .OP.CIT, P24

[2] حميد الحمداني، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي** (المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت، لبنان ط1؛1991)،ص70.

الحالة الفكرية والنفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور، أو كوسط يؤطر الأحداث، إنه يتحول في هذه الحالة إلى محور حقيقي»،[1] لذا ينبغي دراسة المكان من داخل النص الروائي.

تنقسم الأماكن إلى قسمين:

أ. **أماكن مغلقة:** هو المكان الذي يأخذ صفة الانغلاق والعزلة لدى الراوي على بعض الأمكنة، «والمكان المغلق يقطع كل صلة بينه وبين ساكنيه، لأنه مكان مقيد يحد من حرية ساكنيه كما يفرض عليهم نمطا خاصا من العيش من صفة الانغلاق أو الضيق»[2]، ومن الأماكن المغلقة التي وظفا الكاتب في وايته:

- **البيت:** "إن البيت كفضاء يجسد قيم الألفة بامتياز لأنه مأوى الإنسان يمثل وجوده، ويحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية".[3]

يمثل البيت في هذه الرواية ملجأ العواطف والأحاسيس التي كان يتبادلها الزوجان قبل أن يتحول إلى مكان للخلافات الزوجية والمشاكل.

- **الجامع:** يمثل الجامع رمزا دينيا يمارس الناس فيه عبادات دينية تقربا من الله عزوجل، وبما أن البطل كان رجلا متدينا محافظا على صلاته قبل أن يتخلى عنها، فكان هذا المكان(المسجد) من الأماكن التي احتلت حيزا مهما في الرواية لارتباط البطل بعقيدته ودينه.
- **المنجم:** هو رمز لمكان العمل الذي كان البطل يزاول فيه نشاطه العمالي، بغية كسب لقمة عيشه، لقد اهتم الرواي بهذا المكان بوصفه وصفا دقيقا، باعتباره مصدر انطلاق أحداث جديدة كانت نقطة تحول في حياة البطل وحبكة الرواية.
- **ضريح الولي الصالح "سيدي بن يوسف":** من المعروف أن الأضرحة يتم التبرك بها من قبل بعض الناس من باب الجهل، وقد وظف الراوي هذا المكان ليبين لنا سذاجة زوجة البطل وجهلها، مسلطا الضوء على الخرافات والخزعبلات التي كانت الناس تؤمن بها.
- **الحانات الأوروبية:** يوضح الكاتب من خلال أحداث الرواية أن هذه الحانات كانت سببا في نشر الانحلال الخلقي في المجتمع آنذاك، "حيث اعتبرها خطرا على ثقافة وهوية سكان المدينة الأصليين، ويبدو لنا أن إحساس الكاتب وخوفه على مصير المدينة، كان الدافع الرئيسي الذي أدى به إلى كتابة روايته قبل الدافع الفني"[4].

---

[1] حميد الحمداني، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص71.

[2] جعفر علوش، **السرد ونبؤوة المكان** (دار غيداء للنشر والتوزيع: عمان، الأردن، ط1، 2015)، ص109.

[3] يُنظر محمد بوعزة، **تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم** (الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1؛ 2010)، ص106.

[4] أحمد منور، **أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية**، مرجع سابق ص193.

ب. الأماكن المفتوحة:

لقد ذكر الراوي الكثير من الأماكن المفتوحة التي دارت بها أحداث الرواية كالمدينة، والشوارع منها شارع القاهرة قديما، وشارع سان بول، والحدائق التي تقام فيها الحفلات، والأحياء التي كان يسكنها المستوطنون الأوربيون كل ذلك وصفه وصفا حركي حي وتصوير دقيق ومتنوع لمختلف أوجه الحياة اليومية في عشرينيات القرن الماضي«وإن كان اختيار الكاتب لهذا الإطار المكاني والوسط الاجتماعي يعود بالدرجة الأولى ـ في نظرنا إلى كونهما مكانين ووسطين نموذجين لتجميد أفكار الكاتب فيما أراد أن يعبر عنه»،[1] وهو انتشار الآفات الاجتماعية التي نتج عنها التحول الاجتماعي.

5. **الزمن:** للزمن أهمية في الحكي فهو يعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى المتلقي، فالزمن عنصر مهم في بناء السرد، فالشخصيات تقوم بأحداث وأفعال تدور حول ثلاثة أزمنة مستقبل وحاضر وماضي، ويمكننا تقسيم الزمن في الرواية إلى قسمين :

أ. **زمن الاسترجاع:** ويأخذ عدة سمات من بينها الاستذكار والتذكر ومعناه «إيقاف السرد والرجوع إلى حدث مضى، يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها لحظة لاحقة لحدوثها».[2]و المقصود أن الراوي يتوقف عن قص الأحداث في الزمن الحاضر مسترجعا بعض الأحداث الماضية لوجود علاقة بين الزمنين.

ويظهر زمن الاسترجاع في الرواية «حينما يتذكر البطل تلك الدروس التي أخذها عن المفتي ونصائح إمام المسجد للشباب بالابتعاد عن أم الخبائث»[3]، بعد أن حاد عن طريق الحق وانغمس في الشهوات والملذات.

فكانت تعتريه بسبب ذلك حالات ندم شديد تتحول إلى صراع نفسي مؤلم كما كان يتذكر الأيام السعيدة مع زوجته ويؤدي واجباته الزوجية، ويقوم بشؤونه الأسرية على أكمل وجه ويتمتع باحترام الناس وتقديرهم.

ب. **الاستباق:** "هذه الظاهرة نادرة في الرواية والقص التقليدي عموما، والمقصود بالاستباق هو توقع وانتظار الحدث قبل وقوعه وهذا ما يسمى "بالتنبؤ" وهو عكس الاسترجاع"[4]، وقد ورد في الرواية كتصريح أو إعلان يسرد الأحداث لاحقا ويظهر هذا في قول الراوي «وقد عقد العزم على أن يتوب في هذه المرة توبة نصوحة، وأن يقلع عن الشرب نهائيا، ويقطع الصلة بينه وبين صديقه كريمتشي، وأن يتوقف عن العمل في المنجم إذا لزم الأمر رغم حاجته إليه».[5]

---

[1] أحمد منور، **أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية**، مرجع سابق، ص192.

[2] سيزا قاسم، **بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ**، (مكتبة الأسرة: القاهرة، مصر، دط ؛2004)، ص 58.

[3]. Abd-el-Kader hadj hamo ; OP.CIT, P 27

[4] سيزا قاسم، مرجع سابق ص65.

[5] Abd-el-Kader hadj hamo; OP.CIT P. 72

6. **الحوار**: "يعتبر الحوار بأنه تبادل الكلام بين اثنان أو أكثر وهو نمط تواصل حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي"[1]، ويعد الحوار أداة مهمة في رسم الشخصيات، والكشف عن ملامحها ومواقفها فضلا عن أهميتة في تقدم الأحداث وتطورها،" ذلك أنه يجدب المتلقي إلى جو النص، ويقوي البنية السردية للرواية، ويعد عنصرا أساسيا في كثير من الفنون الأدبية بينها الرواية فهو من أساليب التعبير والأداء بحيث يبث الحركة والحوية"[2].

وينقسم الحوار إلى نوعين:

أ/الحوار خارجي: هو حوار يدور بين شخصين أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة فعلية أطلق عليها تسمية الحوار التناوبي، "أي الذي يتناوب فيه الشخصان على الكلام، وكذلك يقوم على تبادل المعرفة بين الطرفين اللذان يسعيان للتحليل والتفسير للوصول إلى نتائج ترضي الأطراف المتحاورة "[3].

فيما يخص الحوار في رواية زهرة زوجة المنجمي فقد تعدّدت فيه المشاهد الحوارية، فبراعة الكاتب تظهر في اختياره للجمل القصيرة والطويلة حسب المعنى المراد.

من الحوار الخارجي في الرواية نذكر حوار المليابي مع زوجته زهرة:

زهرة: القهوه جاهزة.

رد عليها المليابي: صب لي فنجان، هل يوجد خبر؟

نهضت زهرة بعد أن أعطت لزوجها الخبز...

ارتشف المليابي قهوته ببطء قائلا: لقد بدأ الفجر أسرع

نعم، النجوم، تلك الياسمين الجميلة اختفت من السماء

وفقد القمر قوته، إنه ليس أكثر من هلال ناصع البياض.

تتحول السماء إلى اللون الأزرق.

زهرة: نسيت أن تخفض ستارة النافذة: أمسك! حتى أنني أرى فتاة.

---

[1] يُنظر سليمان ابراهيم، **البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة** (وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،سوريا،ط1 2011)،ص171.

[2] سناء سليمان العبيدي، مرجع سابق، ص134.

[3] المرجع نفسه، ص143.

شابة جميلة في الفناء، هيا أركض بسرعة وضع الستار في مكانه، لا أريدك أن ترى

زوجات وبنات الآخرين، أنت تعرف ذلك، إنها خطيئة

يحرم على الرجال رؤية النساء.

ب/الحوار الداخلي (المونولوج):

هو الحوار الفردي الذي يعبر عن الحياة الداخلية لشخصية، حيث يكون فيه الحوار بين الشخص ونفسه، " وهو ذلك التكنيك الذي يستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية التي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام نحو المقصود..." [1]، لا يعمد الكاتب في المونولوج إلى رسم الشخصية من الخارج وإنما يتغلغل في داخلها للكشف عن واقعها الداخلي وإحساسها ومشاعرها التي تختلج فيها، فهو الذي يكشف عن الأبعاد النفسية والنوازع والاضطرابات ويثير اهتمام القارئ ويبعثه على الاهتمام أكثر بالرواية.

المطلب الثاني: سمات الهوية في رواية زهرة زوجة عامل المنجم

إن أهم ما يميز الخطاب الروائي في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية إلحاح الروائيين على العودة إلى الذات والتمسك والارتباط بالوطن والأرض، وبالتالي التشبث بالخصوصية الثقافية والاجتماعية، " كما وجه العديد منهم انتقادات للذات من خلال روايتهم في رضوخها للتبعية وتغيبها لهويتها أمام الغير، إنها حالة من التمزق بين حالتين أو مستويين من أنماط الهوية، فالذات أصبحت تتجاذبها حالة الصراع بين التصورات الذهنية الراسخة، وما يقدمه الأخر من بُنى فكرية وثقافية"[2].

لقد عالجت الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية عدة قضايا أهمها مشكلة احتكاك الشعوب العربية مع الأخر، بكل ما بكل ما يحمله من توترات تهدد وجود هذه الشعوب، وصراعات تتحكم في مصيرها، فتعرضها للضعف والانهزام، ذلك أن سؤال الهوية يجسد ملامحها في الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة" فكانت كتابات هؤلاء الروائيين تؤكد على ضرورة التعبير عن الوحدة، وتشير إلى مظاهر تنوع الثقافة العربية وتحاول بحرص تفعيل ملامح الهوية المخفية، والتركيز على إيجاد تعريف للذات"[3].

لطالما تناول الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية موضوع صراع الهوية في ظل التعايش مع المستعمر الذي حاول أن يفرض الثقافة الفرنسية على المجتمع الجزائري، وقد حذر الكُتاب من مغبة الخوض في هذه الثقافة لتأثيرها السلبي على مقومات الهوية العربية المسلمة، وهذا ما تطرق إليه الروائي عبد القادر حاج حمو في روايته زهرة زوجة عامل المنجم، فبالرغم أنه كان من دعاة

[1] سناء سليمان العبيدي، مرجع سابق، ص134.

[2] محمد سعيد، **اشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب** (مجلة العلامة لعدد 6، مستغانم، لجزائر،2018)، ص136.

[3] المرجع نفسه، ص136.

الاندماج الايجابي الذي يسمح للإنسان بالاستفادة من ثقافة الأخر في ظل ما تسمح به الشريعة الإسلامية، دون التخلي على القيم والمبادئ والمعتقدات التي يؤمن بها الإنسان.

تكمن سمات الهوية في رواية زهرة زوجة المنجمي، عندما صور الكاتب حالة الصراع التي يعيشها البطل، بين التمسك بدينه أو الانغماس والملذات والشهوات بسبب احتكاكه بالأوربيين، فبعد أن كان إنسان متدين متمسك بعقيدته، انجرف إلى شرب الخمر وارتياد الملاهي، حاول المليابي جاهدا مقاومة تلك الضغوطات المعنوية التي كانت تفرضها الظروف في عمله، وصديقه وبعض المسلمين السيئين، ومحاولاتهم إيهامه أن الشرب مظهر من مظاهر التحضر"[1]ولكنه فشل في التخلص منها «فقد بدأ في التهاون في تأدية الصلوات في أوقاتها، إذ كان يجمعها ليؤديها في نهاية اليوم، ثم ترك الصلاة ليكتفي بذكر الله وتلاوة بعض الآيات القرآنية»[2]، أما تأنيب الضمير فقد ظل يلاحقه طوال الوقت، فكانت تعتريه حالات ندم شديد تتحول إلى صراع نفسي مؤلم.«فبدلا من أن يحاول الخروج من حالات الندم بقرار حاسم يجعله يمتنع عن الشرب، كان على عكس ذلك يفرط فيه كمحاولة منه للتخلص من عذاب الضمير، ولكن عقل الباطن يظل صاحيا دوما، ويظل عذاب الضمير يعذبه حتى في نومه».[3]

وهكذا يستمر البطل في صراعه مع نفسه نتيجة إحساسه بالعجز الكامل عن الإقلاع عن الشرب من جهة، واقتناعه من جهة أن ما يفعله يغضب الله ويلحق به وبأسرته الضرر ويحط من قيمته في المجتمع، «أما صراعه الاجتماعي يأتي من الضغوطات التي كان يتعرض إليها من أسرته وأقاربه، في شكل خصام أو عتاب أو شجار أو لوم أو نصائح، أو حتى في شكل ذكريات كتلك الأحاديث التي كان يحدثه بها صديقه مدير المدرسة الفرنسي، عن أضرار الخمر وماسيها الاجتماعية وعن الأمثلة الحية لتلك الماسي التي عرف أصحابها معركة شخصية».[4]

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن عبد القادر حاج حمو استطاع أن يسلط الضوء على بعض التناقضات التي عاشها بعض الجزائريون الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية، وكيف أثرت هذه الثقافة على هويتهم.

قلّت الأصداء عند ظهور قصة "زهرة" سنة 1925، أو أنّ الأصداء كانت خافتة للغاية، من الممكن أن نعتبر اي حدث من هذا النوع أحدى أوائل الروايات التي ألّفها ساكن أصلي (جزائري)، يصلح حجة للمؤسّسة الاستعمارية الفرنسية المحتلّة، وحجة للمؤسسة الاستعمارية كدليل على الاندماج مرغوب، المعلن من قِبَل الكثير من الاندماجيين. هذا الكتاب الذي أزعج ولا يزال يزعج، على الرغم من صدوره منذ ما يقارب القرن، الوطنيين الأحرار، المقاومين للمحتلّ، وهو يمنح المحتل منفذاً عريضاً ليستعمله ذريعة على قبول الشعب الجزائري بالاندماج.

[1] محمد سعيد، ، المرجع سابق، ص137.

[2]. Abd-el-Kader HADJ HAMO ; OP.CIT .p50

[3] . ibid.p199

[4]. ibid .p67

هذه الرواية التي نشرها سنة 1925 لا تنتمي إلى تاريخ الثقافة الجزائرية، بل ليُدرَج للاستعمال الذي يريده له المحتل، لخدمة التاريخ السياسي الذي رسمه المحتل للجزائر، وليس سوى مرآة تعكس الفكرة الاندماجية، فكرة القضاء على تصور أن تكون الجزائر يوماً للجزائريين ومغادرة المحتل لها، ويشهد على ذلك الحوار الذي كتبه بمشاركة "راندو Randau" عام 1934 المعنون "رفقاء الحديقة" حول مناسبة، احتفالهم ابتهاجاً إلى جانب المحتل بالذكرى المائة لاحتلال الجزائر، إلى جانب رفقائه من سلك التعليم للمساجد المنحازة إلى المحتل.[1]

هذه المواقف من بعض المحسوبين على رجال الفكر الجزائريين، ضمن ثنائية متناقضة "وطني\احتلالي"، تبسيطية في صياغتها، معيبة في مفهومها المتدنّي لأنماط ظهور وعمل المثقفين المنتمين لحقبة ما بين الحربين العالميتين.[2]

في النهاية، رواية "زهرة زوجة عامل المنجم" لا تنتمي إلى حقبة جاهلية مناسبة، تتراكم فيها البضاعة الأدبية المرهقة المكبّلة للحرية والحركة، ولا في سوق الزاخر بالشهادات التي توضح التاريخ الأدبي التحرّري باللغة الفرنسية في الجزائر.[3]

هذه الرواية تندرج ضمن إشكالية لتاريخ الأدب، تبرأ بذمّتها من الاستمرارية الأيديولوجية المنحازة للمحتل، كما أنّها لا تتناسب مع والتوقيت الموضوعي لشعب يتطلّع إلى أن يتحرّر من قيود الاحتلال الجغرافي، الذي يدعمه احتلال فكري استقرّ في عقول أدباء الاندماج والاستسلام للثقافة الغربية، يختلط ليدهم الحابل بالنابل، ينتهي بهم المطاف إلى الاستحالة إلى أصوات مهدّدة محاط بها وتحت الهيمنة.

[1]Hadj Miliani, Compromis discursifs et impasse du militantisme dans ‘’Zohra, la femme du mineur’’ de Abdelkader Hadj Hamou (1891-1953).

[2]Sur la littérature algérienne de l’entre-deux-guerres : Genèse et fonctionnement, Paris, Publisud 1995, P. 565, Coll, Littérature arabe.

[3] عبد القادر حاج حمو، زهرة زوجة عامل المنجم، تقديم: حاج ملياني، جار الغرب للنشر، وهران، ص 39. (ترجمتنا)

خاتمة

يعد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية من الآداب الفعالة التي تركت بصمتها الخاصة في الساحة الأدبية، فقد استطاع في فترة وجيزة أن يفرض نفسه في الآداب القومية ، باعتباره أدبا ملتزما حاول الكتاب من خلاله التطرق لمجموعة من القضايا والمشكلات العويصة، كانت سببا في معاناة شعب عانى من ويلات الاستعمار من جهة، و وما آثاره هذا الأدب من صراع حول هويته من جهة أخرى ،فمن خلال معالجتي لموضوع إشكالية الهوية والانتماء في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية توصلت إلى جملة من النتائج أبرزها:

1/تمثل الهوية كيان ووجود الإنسان وتاريخه وشخصيته، كما تبرز مدى تعلقه بأرضه ووطنه ولهذا وجب الحفاظ عليها، والدفاع عنها لأن فقدان الإنسان لهويته يعني فقدنه لذاته ووجوده.

2/تبقى الهوية مفهوما غامضا لم يتمكن المفكرون والنقاد من الفصل فيه، لأنها مسألة متعلقة بثقافة الإنسان وتاريخه.

3/ ظلت مسألة الهوية ملازمة للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية شأنه شأن الآداب التي كتبت بغير لغتها الأصلية.

4/الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو أدب جزائري خالص، لأنه حمل على عاتقه الدفاع على القضية الجزائرية، وكشف جرائم الاستعمار وممارساته الشنيعة ضد المجتمع الجزائري.

5/الكاتب الجزائري يحمل الروح الوطنية سواء ولد بالجزائر أم ولد خارجها، سواء أكان عربيا أو بربريا.

6/ لقد أجبرت الظروف السياسية والاجتماعية كتاب هذا الأدب على الكتابة باللغة الفرنسية بسبب منع التدريس باللغة العربية، وغلق المدارس العربية.

7/ عملت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى تقويض الخطاب الكولونيالي وكشفت السياسة الاستعمارية التي سعت إلى طمس الهوية الجزائرية..

8/ إن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية استطاعوا أن يفروا أنفسهم في الآداب العالمية بالرغم من صعوبة الظروف ، فقد عدت مرجعا تاريخيا للواقع المر الذي تجرعه الشعب الجزائري.

9/تعددت مواضيع الأدب الجزائري المكتوب بين السياسية والاجتماعية والثقافية فقد تميزت بلمسة فنية فريدة من نوعها.

10/ بالرغم من أن عبد القادر حاج حمو كان من دعاة الاندماج، ولكنه سلط الضوء على قضايا تخص المجتمع الجزائري وبين سلبيات التأثر بالثقافة الغربية وهذا يمثل تناقضا في أرائه.

11/ تناولت رواية زهرة زوجة عامل المنجم موضوع تأثير العادات الغربية الدخيلة على هوية الجزائريين الذين تأثروا بها.

12/ يسلط الكاتب الضوء في روايته على بعض الآفات المنتشرة في المجتمع والتي تشكل خطرا يهدد استقرار المجتمع وحذر من مغبة الخوض بسبب نتائجها الوخيمة على الفرد والمجتمع.

قائمة المراجع

أولا المصادر:

1. ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكتوم، **لسان العرب** (دار الصادر: بيروت، ط3؛ 1414هـ).
2. الجرجاني الشريف، **التعريفات** صح: جماعة من العلماء، (دار الكتب العلمية: بيروت، ط1؛ 1983).
3. الزمخشري بن عمر، **أساس البلاغة**، (دار الصادر: بيروت، ط1؛ 1992).
4. الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تر: العرق سوسي محمد نعيم، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر: ب ب ن، ط8؛ 2005).

ثانيا المراجع:

- **الكتب العربية**

1. ابن رشد، **تلخيص مابعد الطبيعة لأرسطو طالس**، تح :عثمان أمين، (ب د ن: القاهرة، ط1؛1958).
2. ابن النعمان أحمد، **الهوية الوطنية** (دار الأمة: الجزائر، ط1؛ 2005) .
3. الأطرش يوسف، **المنظور الروائي عند محمد ديب** (منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين: الجزائر، دط؛ 1967) .
4. الأعرج واسيني، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية** (المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزار، دط؛ 1986) .
5. بامية عايدة أديب، **تطور الأدب القصصي الجزائري** (ديوان المطبوعات الجزائرية: الجزائر، دط، 1982).
6. بوعزة محمد، **تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم** (الدار العربية للعلوم: لبنان، ط1، 2010).
7. جاسم محمد جاسم، **جماليات العنوان مقاربة في خطاب محمود درويش الشعري** (دار مجدلاوي للنشر والتوزيع: عمان، الأردن، ط1؛ 2013).
8. جبور أم الخير، **الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية** (دار ميم للنشر: الجزائر، ط1؛ 2013).
9. الحمداني حميد، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي** (المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع: لبنان، ط1، 1991).
10. حمود ماجدة، **إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية** (عالم المعرفة: الكويت، دط؛ 2013).
11. خضر محمد سعاد، **الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية نقدية** (المكتبة العصرية: بيروت، لبنان، دط؛ دس).
12. دباغ فايزة، **اللغة والهوية في الوطن العربي** (المركز العربي للأبحاث والدراسات: بيروت، ط1؛ 2003).
13. رحيلة أحمد عباس، **العنوان حقيقة وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط**، دار الكنوز والنشر: الأردن، ط1؛ 2013).
14. الركيبي عبد الله، **تطور النثر الجزائري الحديث** (المنظمة العربية للترقية والعلوم: ب ب ن،دط؛ 1967).
15. ـــــــــ، **القصة الجزائرية القصيرة** (المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر،ط1'1983)

16. ـــــــــــ، **الفرونكفونية مشرقا ومغربا** (دار الكتاب الغربي: الجزائر، دط؛ د س ن).
17. سعد الله أبو القاسم، **دراسات في الأدب الجزائري الحديث** (دار الرائد للكتاب: الجزائر،ط5؛2007).
18. الصباح سيد حامد، **بانوراما الرواية العربية الحديثة** (دار المعارف :مصر ،ط1؛1980).
19. علوش جعفر، **السرد ونبوؤة المكان** (دار غيداء للنشر والتوزيع: عمان الأردن، ط1؛2010).
20. عبيدي سليمان سناء ،**الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعيدي المالح** (المكتبة الوطنية دار غيداء للنشر والتوزيع :عمان، الأردن، ط1؛2016).
21. العتباني صلاح الدين هويدا، **الهوية والتعدد الاثني في الصراع بين شمال وجنوب السودان** (شركة مطابع السودان: السودان، دط؛2012).
22. عمارة محمد، **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية** (دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة، ط1؛ 1999).
23. عمامرة رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية** (الشركة الوطنية للتوزيع والنشر: الجزائر، دط؛ 1981).
24. ـــــــــــ، **الشيخ بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر**(موفم للنشر :الجزائر، ط2؛ 2003).
25. القاسم محمود، **الأدب العربي المكتوب بالفرنسية** (الهيئة المصرية العامة للكتاب: مصر، دط؛ 1982).
26. قاسم سيزا، **بناء الرواية ودراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ** (مكتبة الأسرة: القاهرة، مصر، دط؛ 2004).
27. مسيهر العاني خليل نوري، **الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية** (مركز البحوث والدراسات الإسلامية: بغداد ، العراق، ط1؛ 2009).
28. الكيلاني ابراهيم، **أدباء من الجزائر**(دار المعارف والنشر: مصر، دط؛1989).
29. مصاريف محمد، **الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والإلتزام** (دار العربية للكتاب: الجزائر، دط؛ 1983).
30. منور أحمد، **تطور الأدب القصصي الجزائري** (ديوان المطبوعات الجزائرية: الجزائر، دط؛ 1982).
31. ـــــــــــ، **الأدب الجزائري باللّسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه** (ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، دط؛ 2017) .
32. ولد ليفة محمد العربي، **الجزائر المفكرة والتاريخية أبعاد ومعالم** (دار الأمة: الجزائر، ط1؛ 1998)
33. Abdelkader hadj hamo,**'Zohra, la femme du mineur''** edition dar algharbe,2007.

ثالثا: المقالات

خليف هوارية، **نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء**(مجلة دراسات معاصرة، العدد2، جوان2017)

سعيد محمد،**إشكالية الهوية في الرواية العربية معالم اغتراب أو بوادر استلاب**(مجلة العلامة،العدد6، الجزائر).

رابعا:الملتقيات

مزرار زهيرة، **أزمة الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة**، (ملتقى وطني حول القراءة والتراث والهوية في زمن العولمة،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة، 27فبراير 2017، خميس مليانة، الجزائر).

خامسا: الرسائل الجامعية

برادي صليحة، **التأثيرات الجانبية في أدب مالك حداد، إشراف عبد القادر توازن** (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، ت: الدراسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، 2011ـ 2012).

حبيب فاطمة الزهراء، **ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية** (مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015ـ2016).

سادسا: المحاضرات

داودي سامية، **محاضرات مقياس الرواية الجزائرية** (كلية اللغة العربية، جامعة تيزي وزو، الجزائر،2020).

سابعا: المواقع الالكترونية:

1/ابراهيم محمد جبريل، **ملخص الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية**، الرابط

http//m.alhewar.org 16/03/2023 على الساعة 00: 23.

2/أبو خليف محمد، **الهوية**، الرابط:

http//: mawdoo3.com 15/02/2023 على الساعة 15:00

3/سعد مومن، **الرواية الجزايرية المكتوبة باللغة الفرنسية**، الرابط:

http//: alantoligia.com 20/04/2023 على الساعة 20 : 48

4/نصر الدين جابر، **مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية والامعيارية** الرابط:

http//: iab. Univ.biskra.d2/ lep/image/slokies.psf 19/02/2023 على الساعة 21:00.

http//l9olam.com. 28/03/2023 على الساعة: 10 00 .

http// arm.wikpidia.org. 23/ 03/2023 على الساعة: 00: 23.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	الصفحة
إهداء	
كلمة شكر	
مقدمة	أ – ج
الفصل الأول: ماهية الهوية	
تمهيد	07
المبحث الأول: مفهوم الهوية	08
المطلب الأول: تعريف الهوية لغة واصطلاحاً	08
المطلب الثاني: أنواع الهوية	10
المبحث الثاني: أبعاد الهوية ومقوماتها	11
المطلب الأول: أبعاد الهوية	11
المطلب الثاني: مقومات الهوية الجزائرية	12
الفصل الثاني: الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	
تمهيد	18
المبحث الأول: ماهية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	19
المطلب الأول: النشأة والتطور	19
المطلب الثاني: أسباب تأخر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	24
المبحث الثاني: مضامين الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	26
المطلب الأول: الموضوعات التي عالجها وأهم رواده	26
المطلب الثاني: إشكالية الهوية والانتماء في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	30
الفصل الثالث: رواية زهرة زوجة عامل المنجم	
تمهيد	34
المبحث الأول: نبذة عن حياة الحاج حمو	35
المطلب الأول: تعريف الكاتب وأهم أعماله	35
المطلب الثاني: تأثير الثقافة الفرنسية في شخصية عبد القادر الحاج حمو	35
المبحث الثاني: رواية زهرة زوجة عامل المنجم.	37
المطلب الأول: الدراسة السيميائية للرواية	37
المطلب الثاني: سمات الهوية في رواية زهرة زوجة عامل المنجم	45
خاتمة	48
قائمة المراجع	
ملخص	

ملخص

ضمن هذا البحث في موضوع الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حاولت تحقيق جملة من الأهداف سطّرتها واستوحيتها من جملة أسئلة، بنيت منها إشكالية للبحث، تتعلّق بقضية الهوية، ومحاولات هدمها بالآلة المدمّرة للمحتلّين إبّان الحقبة الاستعمارية والهجمة الصليبية على وطننا، فكان لزاماً علينا أن نتطرّق إلى المفهوم والمصطلح في كلّ الأبعاد، انطلاقاً من تعريفها، وتبيان مقوماتها، وكان الداعي إلى ذلك موضوع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، والذي مورست من خلالها ثورة من أجل الحفاظ عليها في الغالب، وأحياناً محاولات طمسها والعبث بها من خلال فكرة الاندماج والتسليم لقوة الغالب. ولقد سلّطت الضوء على إشكالية الهوية التي أثارت العديد من التساؤلات بين مؤيد ومعارض، وسعيت جاهدة إلى إبراز الدور الذي قام به الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في التعريف بالقضية الوطنية، وكيف استطاع روّاده ومحترفوه فرض أنفسهم في الساحة الأدبية العربية والعالمية بقوة الكلمة.كما أنّي أجريت دراسة تحليلية نقدية لرواية "زهرة زوجة عامل المنجم" ، وضحت فيها وجهة نظر الكاتب حول مسألة التأثر بالثقافة الغربية، وما ينتج عنها من سلبيات، واستخلصت منها نتائج أبرزتها في خاتمة هذه البحث، علماً بأنّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كان ثورة كبيرة في الأدب العربي المعاصر، وقد أثار جدلاً واسعاً حول هويته وانتمائه، إذ يعتبر أحد التناقضات التي أفرزتها الحقبة الاستعمارية ، وأنّه شكل فترة من الفترات ظاهرة ثقافية مناهضة لسلطة المستعمر وفكرة الاندماج، واتخذت من رواية "**زهرة زوجة عامل المنجم لـ**"عبد القادر حاج حمو"أنموذجا.

الكلمات المفتاحية:

الهوية، الرواية الجزائرية، الانتماء، الأدب الجزائري.

Résumé :

Dans le cadre de cette recherche sur le thème de la littérature algérienne écrite en langue française, j'ai essayé d'atteindre un certain nombre d'objectifs que je me suis fixésen m'inspirant d'un certain nombre de questions, à partir de là j'ai définisla problématique liée à la question de l'identité, objet d'une tentative dedestructionpar ledispositif destructeur de l'occupant colonialeet l'attaque croisadeà l'encontre notre patrie.Nousavons,tout d'abord,approcher le terme « identité » et les concepts y afférents dans toutes les dimensions, à partir de sa définition, en clarifiant ses constituants. Nous avons été motivés par des lectures faites en littératures algérienne écrite en français ; les œuvres traduites bien sûr, à travers laquelle une révolution a été menée,tantôt pour la conserver, rarement pour la diluer, l'effacer ou la falsifier à travers l'idée d'intégration et de soumission au pouvoir dominant.

J'ai jaillis la lumière sur ce problème de l'identité, qui a soulevé de nombreuses interrogations entre partisans et opposants.Jeme suis efforcé de mettre en évidence le rôle joué par la littérature algérienne écrite en français dans la définition de l'enjeu national, et comment ses pionniers et professionnels ont su s'imposer dans l'arène littéraire arabe et internationale avec le pouvoir du mot. J'ai également mené une étude analytique et critique du roman "Zohra, la femme du mineur", dans laquelle j'ai précisé le point de vue de l'écrivain sur la question de l'influence de la culture occidentale, et les dangers qui en découlent.

Mots clés : identité ; roman algérien, l'appartenance, littérateur algérienne